مسرحية عدو الشعب

تأليف : هنريك ابسن

ترجمة وعرض: ا/اسامة عبد الرحمن

مقدمة

كتب إبسن المسرحية كرد فعل للانتقادات التي لاحقته بعد نشر مسرحيته الأخرى الأشباح التي اعتُبِرت فاضحة لتناولها الصريح للأمراض التناسلية كإشارة إلى فساد القيم الاجتماعية وأضرارها على الأسرة، وتناول إبسن لهذا الموضوع اعتُبِر منافياً للآداب من منظور الأخلاقيات الفيكتورية السائدة في تلك الفترة، ووجَّه إبسن هجومه في عدو الشعب إلى الأكثرية المنقلبة ضده التي لا تفكِّر عندما يتعارض التفكير مع مصالحها المسرحية تدور رحاها في بلدة نرويجية ساحلية، العلاقات بين ساكنيها طيبة ووثيقة، وأفرادها متعاضدين متآلفين فيما بينهم، مع استثناء شخصيات بعينها تعالج المسرحية مشاكل اجتماعية، وبشكلٍ رئيسي تتناول نزعة الاستغلال لأصحاب النفوذ وتقديم مصلحتهم الشخصية على المصلحة العامة، وتعالج أيضاً ظاهرة البذخ والترف المبالغ فيه الذي يضرُّ بالاقتصاد ويزيد الخناق على أفراد الطبقة الدنيا.

والمسرحية للكاتب النرويجي هنريك ابسن من قرى النرويج بزغ نجم الكاتب المسرحي الذى استطاع ان يجد قواعد جديدة للواقعية في الانشاء المسرحي وتقاليده وأثير الجدل حول مسرحياته التي استمدها من حياة المجتمع الذي يعيش

فيه ومحيطه الاجتماعي ونعرضها هنا ببعض الاختصار واستبعاد مالا يليق من الفاظ وردت فى التعامل مع الله لا نقبلها نحن من منظور شريعتنا الاسلامية فنحن نقبل العمل لكن لا نقبل عقيدتهم .

اسامة عبد الرحمن

المنظر الأول

ذات صباح صاح من أصباح الربيع ، على نهر موز بين لورين وشمبانيا ، في عام ١٩٢٩ ، في قلعة فوكولور وفي المنظر اليوزباشى ژو بيردى بدريكور ، عين من رجال الحرب ، وسيم جميل ، جم النشاط ، إلا أنه لا إرادة له

ويعلم هذه النقيصة من نفسه فيحاول أن يخفيها بالتغضب والسخط الشديد على خولى ، وبالإرغاء والإزباد في وجهه ثم الخولى وهو رجل حقير ذليل ، قليل اللحم قليل الشعر، يعجزك تقدير سنه ، فهي ثمان عشرة سنة أو خمس وخمسون أو ما بينهما وهو من صنف الرجال الذين لاذويهم الأعمار لأنهم قط ما أزهروا والرجلان في حجرة مشمسة، وهي من حجر ، في الطابق الثاني من القلعة أما الضابط جالس على كرسي من خشب الأرو إلى خوان متين بسيط على شاكلة الكرسي ، وهو مثله من الأرو وتظهر من وجه الضابط صفحته اليسرى أما الخولى فيقف في مواجهته في الطرف الآخر من الخوان ، هذا إذا سمينا تلك الوقفة الذليلة المسترحمة المستعيذة وقوفا

يرى الخولى شباك مفتوح من شبابيك القرن الثالث عشر، وقد تقسمت فراغه قوائم على أسلوب ذلك القرن و بالقرب من الشباك برج صغير ذو باب ضيق ، تعلوه قبوة ، يؤدي إلى شتلقاف يهبط إلى فناء القلعة وفي الحجرة تحت الخوان

مقعد ذو أربع أرجل متين ، وتحت الشباك صندوق من الخشب

ژوبير : ما عندك بيض ما عندك بيض عليك لعنة الأولين والآخرين يا رجل ، ماذا تعني ؟ ما عندك بيض الخولى : سيدى ، ليس الذنب ذنبي إنما هي إرادة الله

روبير : يا للكفران ؛ تقول لي ماعندك بيض ، ثم تلقي ذنب ذلك على الله

الخولى : سيدى ، ماذا أصنع وأنا لا أستطيع أن أبيض ؟ روبير : يتهكم ها إنك تمزح الخولى : لا ياسيدي ، على الله ! إن البيض يعوزنا جميعا ، كما يعوزك ، اضطرارا، وأي مندوحة عن ذلك والدجاجات تأبي أن تبيض ؟

روبير : صحيح ، صحيح نهض والآن استمع إلى أيها الوغد

الخولى : في ذلة نعم سيدى روبير : من أنا ؟ الخولى : من أنت ، سيدى ؟ روبير : يمشي نحوه نعم من أنا ؟ أأنا روبير ، سيد بذريكور ، ويوزباشي هذه القلعة قلعة شوكولور ، أم أنا فارس من رعاة البقر ؟

الخولى : لا وعفوا يا سيدى ، فما أنت إلا رجل كبير ، أكبر من الملك نفسه

روبير : بالضبط والآن أتدري ما أنت ؟

الخولى : أنا لا شيء يا سيدى ، سوى شرف كسبته بأني خوليك

روبير : يتقدم نحوه ويدفع به إلى الحائط دفعات لكل صفة يصفه بها دفعة أنت لك الشرف بأنك خوليي ، ولك فوق هذا الفضل على جميع ممول فرنسا بأنك أسوأهم ، وأجهلهم ، وأنهم ، وأعجنهم ، وأغباهم ، وأبلههم ، وأريلهم فما ، وأسياهم أنف يأخذ في الرجوع بخطى واسعة إلى الخوان

الخولى : وقد انكمش على الصندوق مذعوراً نعم يا سيدى ، فلا بد أني أتراعي

هكذا بالنسبة لرجل عظيم مثلك

روبير : يدور على عقبيه إليه تعني أن الذنب يرجع إلى ؟

الخولى : يتقدم إليه مسترحما مستغفراً واه يا سيدى ، إنك دائماً تلوى كلماتي البريئة

روبير : سألوى رقبتك إذا ما سألتك كم لدينا من البيض فروت فقلت لي مرة أخرى إنك لا تقدر أن تبيض

الخوئي : محتجاً منكراً واسيدى ، واسيدى

روبير : لا تقل واه سيدى، واه سيدى، بل قل لا ياسيدى، لاياسيدي إن دجاجاتي الثلاث البربرية ودجاجتي السوداء أكثر الدجاج بيضاً في شمبانيا ، ثم تأتيني بعد هذا وتقول البيض عندك أين البيض ؟ من سرقه ؟ أجب وإلا رفستك إلى باب القلعة ، فأنت كذاب ، وتبيع متاع للصوص واللبن نقص بالأمس كذلك ، فهل أنت ناس ذلك ؟

الخولى : مستكيناً أعلم ذلك يا سيدى أعلمه عالماً لا أنساه أبداً ذهب اللين ، وذهب البيض ، وغدا يذهب كل شيء لدينا

روبير : كل شيء لدينا ؟ أفتسرق كل شيء إذن ؟

الخولى **:** لا يا سيدي ، ليس في الدار من يسرق شيئا ، وإنما حلت بنا لعنة ساحرة

روبير : ليس مثلى من يصدق مثل هذا إن روپير دى بدريكور يحرق

الساحرات ويشنق اللصوص فقم وأتمي بخمسين بيضة وبجالونين من اللبن ، وأحضرها هنا جميعا قبل الظهر ، وإلا فرحمة الله على عظامك ، فسأحطمها لك تحطيماً ، وأعلمك ألا تستغفلني مرة أخرى ويعود فيتخذ مكانه من الكرسى كن قضى قضاء مبرمة لا رجعة فيه

الخولى : سيدى ، إنى أقول لك ليس لدي بيض ، ولن تجد لدي بيضاً ولو قتلتني ما دامت الفتاة على الباب

روبير : الفتاة ! أية فتاة ؟ عم تتحدث يا هذا ؟

الخولى : الفتاة التي جاءت من لورين يا سيدى ، من بلدة مريم

روبير : يقف غاضبا أشد الغضب يا أرض ميدى ويا سماء أطبقى ماذا تقول أيها الرجل وأتقول إن هذه الفتاة لازالت هنا، هذه الفتاة التي بلغت من الوقاحة أن طلبت لقائي من يومين ، هذه الفتاة التي أمرتك بحملها إلى والدها وأعطيتك أمري إليه أن يضربها ضرباً طيباً ، هذه الفتاة لا زالت هنا ؟

الخولى : طلبت إليها أن تذهب يا سيدى ولكنها لا تفعل

روبير : لم أقل لك اطلب إليها أن تذهب ، وإنما قلت ارم بها رميا لديك خمسون فارسا گوبيا، ولديك أربعة وعشرون خادماً قويا ، كل هؤلاء لإنفاذ أمري ، فهل خافوها جميعاً ؟ الخولى : إنها عنيدة تثق أشد الثقة بنفسها

روبير : يأخذ بقفاه عنيدة إذن فانظر ما أصنع ؟ سأرمى بك على هذا السلم

الخولى : لا يا سيدي ، أرجوك يا سيدي

روبير : كن عنيدا إذن وامنع نفسك من السقوط إنه أمر هين ، أمصر تستطيعه

أية فتاة رثة الهيئة قذرة

الخولى وقد تعلق مسترخياً في يديه سيدى ، سيدى ، إنك لا تستطيع أن تتخلص منها برمي أنا يضطر روبير إلى إسقاطه من يديه ، فلما سقط وقع على الأرض على الركبتين ونظر إلى سيده مستسلماً ذليلاً أرأيت يا سيدى ؟ كذلك هي

روبير : قل إنها أقوى منك أيها المأفون الخولى : لا ياسيدي ، ليس هذا ، فإنما هي قوة شخصيتك يا سيدي إنها أضعف منا جميعاً إنها فتاة قليلة لا حول لها ولا قوة ومع هذا لا نستطيع إخراجها روبير : إنكم جماعة أنذال إنكم تخافونها

الخولى : ينهض على حذر لا يا سيدي نحن إن خفنا فإنا نخافك أما هي فتبث فينا الشجاعة والثقة والحق أنها لا تخاف من شيء ، فلعلك سيدى تقدر أن تخفها

روبير : بوجه عابس ربما أين هي؟ الخولى : تحت، في فناء القلعة يا سيدى ، تتحدث على عادتها مع الجند إنها تتحدث دائما إلى الجند إلا إذا هي صلت

روبير : صلت ها أتعتقد أيها النبي أنها تصلي إنى أعرف أي صنف من الفتيات ذلك الذي لا يفتأ يتحدث إلى الجند والآن آن أن تتحدث الفتاة إلى قليلاً يذهب إلى النافذة ويصرخ بقوة منها أنت يا من هناك صوت فتاة : صوت بهيج قوي خشن أتعنيني ؟ روبير : نعم أنت الصوت : أيوزباشي أنت؟ روبير : نعم أنا يوزباشى ولعنة الله على وقاحتك اطلعى هنا يتكلم إلى الجند في الفناء أروها الطريق يا هؤلاء ، وأسرعوا بها إلى يترك النافذة و يعود إلى مجلسه لدي الخوان ويجلس جلسة الأبهه

الخولى : يتكلم في همس إنها تريد أن تكون جندياً ، وتطلب إليك أن تعطيها ملابس الجند تطلب درعا يا سيدى ، وسيفا كذلك والله يسترق الخطا وراء رو

بير

تدخل چان من باب البرج وهي فتاة ريفية قوية البنية ، سنها بين السابعة عشرة والثامنة عشرة ، في ملابس محترمة حمراء ولها وجه غير مألوف : نسيناها متباعدتان كل البعد، وعيناها جاحظتان ، وهكذا تجدها دائماً في كل من هم أو لهن خيال قوي وأنفها حسن الشكل طويل واسع وشفتها العليا قصيرة وفمها تقرأ فيه العزم القوى ولو لم ترق شفتاه وأفقها جميل تقرأ فيه الحرب والصراع ثم هي تتقدم إلى الخوان مغتبطة مبتهجة بأنها استطاعت أخيراً أن تخترق الحرم إلى صاحبنا ، مليئة أملاً بتحقيق رجانها وعبس روبيرفع ترددها تعبيسته ولا أخافتها أبداً ولها صوت ترسله على سجيته فكأنما تخرجه من قلبها ، فيه الثقة ، وفيه الضراعة ، وفيه الترضى ، فلا يستطيع أحد أن يتنكر له

چان : تحييه بثنية من ركبتيها صباح الخير ياسيد يايوزباشى أيها اليوزباشى ، إن عليك أن تعطيني حصاناً ودرعاً وأن تمدنى ببعض الجند ثم ترسلني إلى الدوفين بهذا يأمرك مولاي

روبير : وقد اغتاظ مولاك يأمرني ؟ ومن مولاك هذا وفي أي داهية يكون ؟ عودي إليه وقولي له إني لست دوقاً ولا شريفاً في خدمته فأتلقى منه أمر ، وإنما أنا سيد بدريكور لاأتلق أمراً إلا من الملك

چان تطمئنه نعم يا سيد بدريكور ، وصواب ما تقول ، غير أن مولاى رب السموات والأرض

روبير : ما هذا إن الفتاة مجنونة إلى خوليه لم تقل الى أيها الأحمق إنها مجنونة؟

الخولى : لا تغضبها يا سيدي وأعطها ما تريد

چان : جازعة ولكن غير غاضبة إنهم جميعا يا سيدى يقولون إني مجنونة إلى أن أتحدث إليهم إن إرادة الله قضت عليك بأن تفعل ما يوحي إلى به الله

روبير : إن إرادة الله قضت على بأن أرسلك إلى أبيك ، وأن آمر بحبسك وضربك حتى يخرج من جسمك هذا الجنون فماذا أنت قائلة ؟

چان : إنك تظن أنك فاعل ما تقول ، ولكن هيهات فسترى أن الأمور تجري على غير ماتريد ألم تقل إنك لن تراني ثم ها أنت الآن تراني

الخولى : يتوسل نم سيدى ، إنها تقول الحق يا سيدى روبير : اسكت أنت يا أحمق الخولى : بذلة نعم ، سيدى

روبير : يتحدث إلى چان وهو في ألم من إحساسه بضياع ثقته بنفسه إذن فأنت تستغلين إذني لك في الدخول على ؟ چان :في خفة روح نعم ، سيدى

روبير : يحس بانقلابه فيضرب الخوان بيديه ضرباً شديداً ، وينفخ صدره ويبرزه تكبراً وتعظاماً على هذا يذهب بالضعف الذي أصابه الساعة في إرادته ، وهو ضعف عرفه من نفسه حتى ألفه أنصتي إلى أيها الفتاة إلى سأملى عليك إرادتي

چان : إفعل بالله يا سيدي إن الحصان ثمنه ستة عشر فرنكا ، وهذا مبلغ كبير ، ولكني سأقتصده في الدرع ، فإني سأبحث بين الجند عن درع تلبسني بالقدر الذي يكفيني إلى خشوشنة فليست في حاجة إلى درع جميلة تفصل على تفصيلا كالتي تلبسها أنت ولن أحتاج إلى عدد كبير من الجند، فالأوفين سيعطيني كل ما

يكفينى من ذلك ، لرفع الحصار عن ألدولفين

روبير : وقد طار لبه رفع الحصار عن ألدولفين ؟؟
چان : بكل بساطة نعم يا سيدي هذا ما أرسلني الله لأدائه ويكفيني أن ترسل معي ثلاثة رجال أخيار يعطفون على وقد عاهدوني على الذهاب معي ومولى وچاك
روبير : وبولى أيتها الفاجرة كيف تتجرئين على السيد برتران دى پولنجيه فتسينه بولى في وجهى ؟ چان : هكذا يسميه إخوانه يا سيدى ، وما علمت أن له اسما غير هذا وچاك روبير : هذا السيد چون أف ميتز على ما أحسب ؟

چان : نعم ياسيدى فجاك سيذهب معي عن طيب خاطر إنه رجل طيب كريم يعطيني المال فأفرقه على الفقراء وأظن چون جدساف سيأتي أيضاً ، وديك النباك أيضا ، وخادماها چون أن هنكورت وچليان قد رتبت كل شيء أن تغلبوا على النصف الشمالي من فرنسا شمال نهر اللوار فاسروها وطمعوا بعد فتحها أن تكون مفتاحاً لفتح النصف الجنوبي من فرنسا

يا سيدي ، ولن أكلفك مشقة إلا أن تصدر أمرك إليهم
روبير : يتأملها وقد علته ذهلة من الدهشة ألا لعنة الأولين والآخرين على أن يجرى كل هذا من ورائي ولا أدري چان : في خفة روح لم تتعكر لا ياسيدى، لا لعنة عليك فالله غفور رحيم والقديستان كترينة ومرجريت ، وهما تتحدثان إلى كل يوم يفتح فاه كأنما شده ، سيشفعان لك عند الله ، وستدخل الجنة ، وسنذكر بأنك أول من أعانني في سبيل الله

روبير : يتحدث إلى الخولي وهو لا يزال في قلقه ، ولكنه يغير لهجته لاهتدائه إلى نهج جديد يخرج به من ورطته أصحيح ما قالت عن السيد دى پولنچيه ؟

الخولى : يجيب وبه رغبة شديدة ظاهرة في الجواب نعم يا سيدى وصحيح كذلك ما قالته عن السيد دى متز ، فكلاها يود الذهاب معها

روبير : ينبس بما لا يفهم وهو غارق في الفكر ، ثم يذهب إلى النافذة وينادي من في الفناء أنتم يا هؤلاء أرسلوا إلى السيد دى بولنچيه يعود فيتحدث إلى چان ، وأنت فاخرجي الآن وانتظري في الفناء چان تبتسم له ابتسامة وضاءة أفعل يا سيدى ثم تخرج

روبير : إلى الخولى اذهب معها أيها المعتوه المرتعش ، وابق حيث تسمعني ، ولا ترفع عينك عنها ، فسأدعوها إلى مرة أخرى الخولى : بالله افعلن يا سيدى ، واذكر تلك الدجاجات، وأنها أحسن دجاج يبيض في شمبانيا

روبير : بل تذكر أنت حذائي ، وغب عن بصرى قبل أن ينال ظهرك

يتراجع الخولى سريعا فيلتقي عند الباب برتران دى پولنچيه ، وهو رجل فرنسي ، ليمفاوي المزاج مترهل ، وهو فارس ممتاز ، له من العمر ستة وثلاثون عاما أو نحوها ، وهو موظف في قسم البوليس الحربي ، غائب الفكر حلام ، يندر أن يتكلم إلا إذا كلمه أحد ، فإن هو أجاب أجاب في بطء وعناد فهو على النقيض من روبير ، فروبير يعتز بنفسه ويفرضها على الناس ، وله صوت جهير ، وله في الظاهر نشاط جم ، وله في الباطن إرادة منحلة غاية الانحلال يلتقي الخولى بپولنچيه على الباب فيتراجع ويفسح له السبيل ثم يذهب هو لحاله برفع پولنچيه يده بالسلام ويظل واقفا يترقب أمر روبير : ملاطفة

مؤانسة لم أذعك العمل من أعمال الوظيفة وإنما لحديث أخرى غير ذي كلفة ، فاجلس يجر له المقعد يشط رجله من تحت الخوان

يرخى پولنچيه من صلابته ويدخل في جوف الحجرة ، و يحمل المقعد فيضعه بين الخوان والنافذة ، ويجلس وهو ساهم يفكر أما رو بير فيرتكز على طرف الخوان بين الواقف والجالس ، ثم يبدأ حديثه : روبير : أصغ لى يا پولي ، أريد أن أحدثك حديث الوالد يرفع پولنچيه بصره إليه دقيقة غير باسم ، ولكنه لاينطق بكلمة روبير : إنه حديث عن هذه الفتاة التي شغلت بعض همك لقد رأيها ، وقد تحدثت إليها فهي أولا مجنونة ، ولكن هذا ليس بذي بال وهي ثانيا ليست بنت فلاحة ، بل هي من أواسط الناس ، وهذا يجعل الأمر خطيراً أنا أعرف طبقتها جيداً ، فأبوها حضر هنا في العام الفائت ليقل قريته في قضية ، فهو بعض أعيانها ، وهو مزارع لم يرتق إلى طبقة الأسياد ، فهو يكتسب من زراعته ويرتزق منها ، ولكنه على كل حال ليس فلاحاً عاملاً يحرث الأرض ولا صانعاً وقد يكون له ابن عم في المحامين أو بين القساوسة وأمثال هؤلاء الناس قد لا يكون لهم خطر في المجتمع ولكنهم مع هذا قد يسببون متاعب كبيرة لرجال السلطة، أعني لي وأنت تقصد إلى التغرير بهذه الفتاة ، وتضحك عليها بإفهامك إياها أنك تأخذها إلى الدوفين ، وهذا أمر لا شك يتراءى لك في غاية البساطة ، ولكن اعلم أنك إن أحدثت لهذه الفتاة سوءاً ، فستحدث إلى ألف سوء ، فإني سيد أبيها وحاميها إذن فاس صداقتى وارفع يدك عنها

بولنچيه : بحرارة متعمدة يا لها من كبيرة إن عيني لا تنال من هذه الفتاة إلا ما كانت تناله من السيدة العذراء نفسها لو أني نظرت إليها

روبير : ينزل عن الخوان ولكنها تقول إنك أنت وچاك ودي تطوعتم بالذهاب معها فلأي شيء ما تطوعتم؟ لا تقل لي إنكم اقتنعتم بالهراء الذي تقول وأنكم ذاهبون معها إلى الدوفين

بولنجيه ببطء إن في هذه الفتاة شيئاً خفياً إن في المخفر تحت رجالاً في أفواههم بذاءة وفي قلوبهم قذارة ، أو بعضهم هكذا ، ولكنهم لم يفوهوا قط بكلمة تتصل بأنوثها ، وهم يعقدون ألسنتهم عن اللعن والسباب في حضرتها إن بها شيئاً خفياً سراً لايكتنه ، لعلنا إن جربناه حمدنا عقباه

روبير : پولى ولى ما هذا الحديث ؟ تماسك يا رجل وانظر ما تقول إن البصر بالأمور لم يكن يوماً خير فضائلك ، ولكن هذا الذي تزعم فات الحد وفاض يتراجع رو بير عنه مستاء متقززا

بولنچيه : لا يظهر فيه أثر لاستياء روبير وتقززه ماذا يفيد البصر بالأمور ؟ لو كانت لنا بصيرة إذن لانضممنا إلى دوق برجندى وإلى ملك الإنجليز إن نصف فرنسا إلى اللوار في أيديهم ولهم باريس ولهم هذه القلعة ، فأنت تعلم علم اليقين أنك اضطررت إلى تسليمها إلى دوق بدفورد ، وأنك إنما احتفظت بها على عهد أن لا تخون أما الدوفين ففي شينون ، كالفأر محصوراً في ركن ، غير أنه يأبى أن يقاتل كما يقاتل الفأر وعدا هذا فنحن لا ندري أنه الدوفين حقاً ، فأمه تقول إنه ليس الدوفين ومن أعرف بول من أمه فماذا ترى في ملكة تقول إن ولدها من حرام ؟ روبير : إنها زوجت ابنها ملك الإنجليز ، فهل تلومها ؟ پولنجيه : إني لا ألوم أحداً ، ولكن شكرا لها على ما صنعت ، فالدو فين كسير ذليل ، ولا بد لنا من مواجهة الحقيقة عارية إن الإنجليز سيأخذون أزلين وابن الفاعلة نوا لن

يستطيع إيقافهم روبير : إن ابن الفاعلة هزم الإنجليز منذ عامين في منترچى وكنت معه پولنچيه : مهما كان من أمره بالأمس فرجاله اليوم مستضعفون أذلاء، ولن ينجينا الآن إلا معجزة ، وهو لا يستطيع المعجزات

روبير : إن المعجزات لا بأس بها يا پولى ، ولكن الصعوبة في أنها لا تقع في هذه الأيام

پولنجيه : هكذا كنت أحسب بالأمس ، أما اليوم فأنا في ريبة من ذلك يقوم يمشي نحو النافدة مفكرا وعلى كل حال فالنا اليوم يقضي بأن لا نترك بابا إلا طرقناه ، وفي هذه الفتاة شيء لا أدري كيف أسميه هذا لقبه الذي عرف به وامه ونوا

روبير : أتظن أن الفتاة تستطيع إتيان المعجزات ؟ قل لى ؛ أتظن ذلك ؟

بولنجيه : إن الفتاة في ذاتها معجزة أو بعض معجزة ، ومهما يكن من أمرها في آخر سهم في جعابنا ، فالخير في إطلاقه لافي حبسه والرضاء بالهزيمة يمشي على غير هدى نحو البرج

روبير : يأخذ في التردد أحقا تظن ذلك ؟ بولنچيه : يدور نحوه وهل أبقت لنا الحوادث شيئا نظنه غير ذلك ؟

روبير : يذهب إليه قل لى يا پولي ، لو كنت في مكاني أكنت تأذن لفتاة كهذه أن تختلك عن ستة عشر فرنكا ثمنا لحصان ؟ پولنجيه : أنا أدفع ثمن الحصان روبير **:** تدفعه حقاً؟ولتچيه : نعم أدفعه لأعزز رأيي فيها روبير : أتقدم على أمل خائب كهذا ، بهذا القدر من المال ؟ پولنجيه : هذه ليست مقامرة

روبير **:** فما هي إذن ؟

پولنجيه : إنها حقيقة واقعة كالفجر الطالع إن كلماتها وحرارة إيمانها أوقدت في القلب نارا روبير : يائسا منه مجنونان استويتما في الجنون والله

پولنجيه : نحن الآن في حاجة إلى طائفة من المجانين ألا ترى أين أدي بنا العقلاء ؟

روبير : عندئذ يكتسح عجزه وضعف إرادته علناً كل ما ادعاه من مظاهر العزم القوى سأحس من نفسي السخف والتغفيل ، ومع هذا فإن كنت موقناً مما تقول؟ پولنجيه : موقن يقيناً يدفعني إلى أخذها لشينون إلا أن تمنعني أنت

روبير : ليس هذا من العدل في شيء إنك تلقي التبعة على بولنچيه : إنها عليك لا محالة ، بأي قضاء قضيت

روبير : نعم ، نعم ، فهذا هو عين الحرج فبأي قضاء أقضي ؟ إنك لا تدرى مقدار ما أنا فيه من ارتباك وخبل يخطو خطوة بطيئة وفي نفسه أمل خفي أن تأتي چان فتكون لها رأيا أما تظن الخير أن أستدعى چان فأحدثها مرة أخرى؟

پولنجيه ينهض نعم ثم يذهب إلى النافذة وينادى چان صوت چان : هل سمح لنا بالذهاب يابولي؟ پولنجيه : اصعدي وتعالى هنا يلتفت إلى رو بيرأأتركك واياها ؟ روبير : لا ، بل ابق هنا وشد أزرى

يجلس بولنچيه على الصندوق ويعود رو بير إلى كرسي الإمرة والسلطة ولكنه لا يجلس عليه بل يظل واقفا ليستطيع أن ينفخ نفسه فيزداد مهابة ثم تدخل چان وهي تطفح بالأخبار السارة الكثيرة چان : چاك رضي بأن يدفع نصف ثمن الحصان روبير : يجلس وقد ذهب عنه انتفاخه جميل جميل والله

پولنجيه : بصوت قوى حاد وهو عابس زاجر اجلسى يا چان

چان : تزدجر بعض الشيء ، ثم تنظر إلى رو بير هل لي أن أجلس؟

روبير : افعلي ما تؤمرين تثني ركبتيها احتراما ، ثم تجلس على المقعد بينهما ويجاهد روبير في الظهور بالقوة والجبروت ليخفي خبلته التي هو فيها روبير : ما اسمك ؟

چان : تتحدث بلاكلفة في اللورين يسمونى داجا چينى ، وهنا في فرنسا يسموننى چان ، والجند يدعونني بالفتاة

روبير : ما لقبك ؟چان : لقبي ؟ ماهذا ؟ إن أبي يسمى نفسه أحيانا درك ، ولكني لا أعلم عن هذا شيئا إنك لقيت أبي إنه روبير : نعم ، نعم ، أذكر ذلك إنك تأتين على ما أظن من ريمي باللورين؟ چان : ولكن ما خطر هذا والفرنسية لغتنا جميعاً ؟ روبير : لا تسألي الأسئلة وإنما أجيبيها كم سنك ؟

چان : سبع عشرة سنة هكذا يقولون لي وقد تكون تسع عشرة، فأنا لا أدري

روبير : قلت إن القديسة كترينة والقديسة مرجريت تتحدثان إليك كل يوم ، فماذا عنيت بهذا ؟ چان : إنهما تتحدثان روبير : ما شكلهما ؟ چان : يتولاها العناد بغتة لن أخبرك شيئا عن هذا، فهما لم تأذنا لي روپير : ولكن أرأيتهما رأى العين ؟ أتحدثا إليك فعلاً كما تحدث إليك الآن ؟

چان : لا إن حديثهما ومرآهما يختلفان كل الاختلاف عن هذا إني لن أستطيع أن أحدثك في ذلك ، فلا تحدثني في الذي أسمع من أصوات

روبير : ماذا تعنين ؟ أصوات ؟ چان : إني أسمع أصواتاً تأمرني بما أفعل إنها

تجيء من عند الله روبير : إنها تجيء من خيالك

چان : بالطبع ، فهكذا تأتي رسائل الله إلى خلقه بولنجيه : غلبك يا صاحبي

روبير : لا ، أبدا إلى چان فالله إذن يأمرك برفع الحصار عن أولين ؟

چان : وبتتويج الأوفين في كتدرائية رانس روبير : يستدرك أنفاسه تتويج الدو والله عال چان : وبطرد الإنجليز من فرنسا روبير : في استهزاء ثم ماذا بعد هذا ؟ لا چان : في خفة روح جذابة هذا يكفي الآن، فشكرا لك ياسيدي

روبير **:** أظنك تحسبين رفع الحصار سهلاً كطرد بقرة من حقل ؟ أظنك تحسبين الجندية صناعة يتعاطاها كل إنسان ؟ چان : بلى أحسب أن الأمر لا يصعب جداً إذا جاءك نصر الله ، وإذا أنت رضيت أن تضع حياتك في يد الله يفعل بها ما يشاء إن كثيرا من الجند أغرار روبير:يتجهم أغرار أرأيت الإنجليز يقاتلون ؟

چان : إنهم ليسوا إلا رجالاً ، خلقهم الله كما خلقنا ، وأعطاه أرضاً ولغة غير لغتنا وأرضنا ، وتأبى مشيئته أن يحتلوا أرضنا ويتكلموا لساننا

روبير : ما الذي أدخل هذا الماء إلى رأسك ؟ ألست تعلمين أن الجند إنما هم أتباع لرب الإقطاع ، وأنهم لا يعنيهم ولا يعنيك من يكون هذا الرب ، وسواء عندهم أن يكون دوق جندي أو ملك فرنسا أو ملك الإنجليز وما دخل اللغات في هذا ؟ چان : لا أفهم كل مما تقول إن الله رب السموات ربنا أجمعين ، وهو قد قسم فينا الأرض وجعلنا أما وأقطارة، وقد شاء الله أن تبقى كل أمة على قطرها ، ولولا هذا لكان من الإثم قتل الرجل الإنجليزي في الميدان وإحراق دمه وقد حرمه الله ، ولولا هذا لكنت يا سيدى على وشك أن تدخل النار لا تفكر يا سيدي

في واجبك لرب الإقطاع وإنما فكّر في واجبك لرب السماء

روبير : هي تفحمنى لا والله ، وسترى إلى چان نحن لا نتحدث عن الله ولكن عن الأمور الواقعة إني أسألك أيتها الفتاة مرة أخرى : أرأيت الإنجليزى يحارب ؟ ألم تريهم أبدا يسلبون ويحرقون ويقلبون الريف الأخضر خرابا يبابا ؟ ألم تسمى القصص روى عن أميرهم الأسود وقد كان أسود من الشيطان وملكهم ، ألم تسمعى الحكايات تحكي عن أبيه ؟ چان : يجب أن تنزع الخوف من قلبك يا روبير

روبير : لعنة الله عليك ما أنا بخائف ومن ذا الذي أذنك أن تسميني روبير ؟

چان : هكذا تثبت في الكنيسة بإذن الله وما لك من اسم آخر فهو اسم أبيك أو أخيك أو غيرهما روبير : صه صه

چان : أنصت إلى أيها السيد في بلدنا في شريمى اضطرنا الحال إلى الفرار من العسكر الإنجليزي إلى أقرب قرية ، وفي هذه القرية وجدناهم قد خلفوا ثلاثة من جرحاهم واتفق لي أن عرفت هؤلاء الثلاثة اللانين المساكين خير معرفة ، فلم أجد لهم من قوة الجسم نصف قوتي روبير : أتعرفين لماذا يستون اللعانين ؟

چان : لا كل الناس تسميهم لعانين روبير : ذلك لأنهم دائماً يدعون الله بعضهم في بعض بأن يلعنهم ويهلك أرواحهم فهذا معنى الكلمة في لغتهم ، فكيف تجدين ذلك ؟

چان : رحمهم الله إنهم سيعودون إلى بلادهم ، إلى الأرض التي خلقها الله لهم وخلقهم لها ، وعندئذ يفعلون كما يفعل عباده الصالحون لقد سمعت قصة أميرم

الأسود إنه ما لبث أن وطئت قدماه أرض بلادنا حتى تقمصه الشيطان فصار مارداً أسوداً شريراً ولكنه في بلاده ، في الأرض التي خلقها الله له ،كان من عباد الله الصالحين وهكذا شأن الناس فأنا لو ذهبت إلى إنجلترا ضد مشيئة الله لأغزوها وأعيش فيها وأتكلم لغتها ، إذن لتقمصنى الشيطان فإذا جاءتني الشيخوخة أخذني الفزع هلا تذكرت ما صنعت من السوء في صباى

روبير : قد يكون هذا ولكن كلما ركبك الشيطان ازددت دراسة في الحروب ومن أجل هذا سيأخذ الإنجليز أولين ماركبهم الشيطان وأنت لن تصديهم عنها ولا عشرة آلاف مثلك

چان **:** ألف واحد مثلي يصدونهم عنها بل عشرة مثلى يصدونهم إذا كان الله معهم تضيق بجلستها وسكونها فتقوم وتهجم عليه إنك لا تفهم يا سيدي إن جنودنا يغلبون لأنهم يحاربون لخلاص رقابهم والإفلات من الموت والهرب أقصر الطرق إلى النجاة وفرساننا النبلاء لايفكرون إلا في مال الفداء فالحال معهم ندفع أو تدفعونه لا قتل أو تقتلون سأعلمهم كيف يقاتلون حتى تكون مشيئة الله في هذا البلد الأمين ، وعندئذ يطردون الإنجليز من فرنسا طرداً ، ويسوقونهم كالخراف سوقاً وستعيش أنت ويعيش بولى لتريا أرض فرنسا وقد خلت منهم أجمعين ، فلا يكون فيها إلا ملك واحد، ليس هو الملك الإنجليزي الإقطاعي، ولكن ملك الله الفرنسي

روبير : إلى پولنچيه پولنجيه ، قد يكون كل هذا خرفان ولكن الجند قد يصدقونه ، فإن هم صدقوه هاجهم إلى القتال على أنهم ما هاجهم إلى القتال شيء قلناه أبداً

والدوفين نفسه قد يؤمن به ، فإن هي استطاعت حمله على القتال حملت عليه كل الناس من ورائه

بولنچيه : لا أرى في التجربة ضرراً ؟ فهل ترى فيها شيئا ؟إن في هذه الفتاة سراً روبير : يلتفت إلى چان والآن أنصتي إلى أيتها الفتاة ، يضيق ذرعاً بقطعها الكلام عليه لا تعجلى بمقاطعتى قبل أن أتم تفكيري

چان : ترتمي في ثقل على المقعد كتلميذة مدرسة طيعة سمعاً وطاعة ياسيدي

روبير : إن أمري إليك أن تذهبي إلى شينون بصحبة هذا الرجل الشريف و ثلاثة من أصحابه

چان : يضيء وجهها فرحا وقد شابكت بين يديها أى سيدى الأكرم إني أرى هالة تدور حول رأسك كهالة القديسين بولنچيه : وكيف يكون دخولها إلى الحضرة الملكية ؟

روبير : وقد كان ينظر فوق رأسه يبحث عن الحالة في شيء من الخشية لا أدري تدخل إلى حضرته بمثل ما دخلت إلى حضرتى فإن استطاع الدوفين أن يمنعها من الدخول فهو من الرجولة فوق ما كنت أحسب سأبعث بها إلى شينون ولها أن تقول إني بعثت بها ، ثم ليكن بعد ذلك ما يكون فهذا كل طوق چان : والملابس ؟ تأذن لي في ملابس الجند ، أليس كذلك ياسيدى ؟

روبير : البسي ما تشائين وعليك تبعته فليس لى شأن به چان : تثور فرحاً بنجاحها هيا يابولى هيا تخرج مندفعة

روبير : يصافح بولنچيه مع سلامة الله ياعزيزي إنى مجازف في الذي أتيت

وقل من الرجال من يصنع مثل الذي صنعت ، ولكني أرى كما ترى أن في هذه الفتاة شيئاً خفياً

بولنجيه : نعم إن بها سرا في حفظ الله ليخرج ليعود رو بير من الباب على مهل وهو يحك رأسه يفكر في الذي حدث ، وهو في ريبة شديدة أن يكون قد تغفلته أنثي مخبولة هي فوق خبلتها دونه في المجتمع شأناً يدخل الخولى جاريا هالعا يحمل سلة روبير : ماذا عندك الآن؟ الخولى : سيدى إن الدجاج يبيض بغير حساب ستون بيضة يا سيدى روبير : يتصلب في ارتعاش ثم يرسم علامة الصليب على نفسه ثم ينبس بالكلمات الآتية في عسر من شفتين قد هرب الدم منهما المجد لله في السماء ثم يقول في صوت عال وهو يلهث لانقطاع أنفاسه إن رسالتها من الله حقا

المنظر الثاني

في بلدة شينون في مقاطعة تورين يظهر طرف من حجرة العرش وقد انفصل عن باقي الحجرة بستار فصار مدخلاً لها وقد وقف فيه رجلان ينتظران قدوم الدوفين ، أحدهما مطران مدينة رانس وهو رجل قارب الخمسين معلوف بدين ليس له من مظهر كنسي غير الضخامة والوجاهة ، وله في السياسة شأن والرجل الثاني كبير أمناء الملك ، السنيور دى الثريمي ، وهو رجل فظيع متعجرف ملىء كزق خمر وفي الحائط إلى يمين الرجلين باب و تاريخ اليوم الثامن من مارس عام 1٤٢٩ والوقت الأصيل يقف المطران وقفة وقار ، و إلى يساره كبير الأمناء يرغى و يزيد غاضباً عاصفاً

الثريمى : ماذا يعني الدوفين بهذا ؟ ماذا يعني بحبسنا في انتظاره كل هذه المدة ؟ وأنت ما صبرك ووقوفك هكذا كالصنم؟

المطران : إنك تعلم أني مطران ، والمطارنة بعض صنوف الأصنام أو على الأقل فن بعض عملنا أن نتعلم أن نحتمل كالأصنام وقاحة البلهاء وجهل الأغبياء وعدا هذا يا عزيزى يا كبير الأمناء ، أليس من حق الدوفين أن يحبسك في انتظاره ؟

الثريمي : لعنة الله على الدوفين ، وعدتك اللعنة أتدرى كم لي عليه من الدين ؟

المطران : أكثر كثيراً ممالى أنا عليه ، لا شك، لأنك أغنى مني كثيراً وهذا على

فرض أنك أقرضته كل ما تستطيع إقراضه، فهكذا فعلت أنا

التريمي : سبعة وعشرون ألفا هذه آخر نشلة نشلها سبعة وعشرون ألفا

المطران : وماذا صنع بها كلها ، فإني لم أر قط عليه كسوة تصلح أن أرمى بها لقسيس

التريمي : إنه يتغدى بجيجة أو بقطعة خسيسة من الضأن يقترض منى آخر درهم ومع هذا لاتجد عليه من آثار ذلك شيئاً يظهر حاجب في الباب أخيراً

الحاجب : لا يا مولاي ليس هذا بالملك ، وإنما هو السيد دى ريه

التريمي : الشاب ذو اللحية الزرقاء ولماذا تستأذن له ؟

الحاجب : الكابتن لاهير معه حدث حادث على ما أحسب

يدخل الكبتن چل دى ريه ، وهو فتى أنيق رزين ، زهى بلحية حواة صغيرة صبغها بالأزرق ، وازدهاه منها أنه انفرد بها فأرسلها في بلاط لاترسل فيه اللحى وهو رجل يدأب دائماً ليكون محبباً إلى الناس ، ولكن تعوزه البهجة المطبوعة ، وهو في صميمه غير لطيف ومصداق ذلك أنه تحدى الكنيسة بعد ذلك بإحدى عشرة سنة أو نحوها فاتهمته بأنه كان يبغى المتعة و يطلب اللذة من أفعال قاسية فظيعة ومن جراء هذا شنقوه أما الساعة فلم يكن قد أظله بعد ظل المشانق ، فهو يتقدم في ابتهاج إلى المطران عندئذ يخرج الحاجب

ذو اللحية الزرقاء : عبدك ووليك ياسيدى المطران ونهارك سعيد يامولاي ، أتدري ماحدث للاهير ؟

التريمي : إنه سباب بذيء فلعله انتابته نوبة من السب واللعن تركته صريعاً

ذو اللحية الزرقاء: لا، فالأمر على نقيض ماتقول فما هو بالصريع ، وإنما الصريع فرنك ، ذلك السباب الوحيد في تورين الذي يستطيع غلبة لاهير في الباب ، وكان يشب ويفحش فقال له جندى مايجمل بك الشباب وأنت على باب الموت

المطران : ولا على أي باب آخر ولكن قل لى كيف كان فرنك البذاء على باب الموت ؟ ذو اللحية الزرقاء : سقط تواً في بئر وغرق فيه ورآه لاهير فارتاع حتى فقد صوابه يدخل الكبتن لاهير ، وهو جندي قديم ، لا يعرف من آداب البلاط والقصور شيئاً، ولكنه يعرف الكثير النابي من أدب المعسكر والخيام

ذو اللحية الزرقاء : كنت أحدث المطران وكبير الأمناء عنك ، فقال المطران إنك نفس ضالة هالكة

الأمير :يمر أمام ذي اللحية الزرقاء بخطى واسعة ثقيلة إلى أن يزرع نفسه بين المطران وكبير الأمناء ليس الأمر مزاحاً ، فقد كان الحال شراً مما ظننت فالجندي لم يكن جندياً وإنما ملكاً في لباس جندى

المطران والأمين وذو اللحية الزرقاء : يصيحون مع ملكافيه

الأمير : نمر ملكا إنها فتاة قامت من شمپانيا في ستة من الرجال ، ونفذت بهم في الكثيف من كل شيء، في جنديين وانجليز وفارين من الجيش ولصوص نهابين وغير ذلك مما يعلم الله ، ومع كل هذا لم تقع أبصارهم على أحد إلا أهل الريف إنى أعرف أحد هؤلاء الرجال هودى پولينى وهو يقول إنها ملك أثر على اللعنة بعد هذا إن نطق بفاحشة أبداً المطران فاتحة في التقوى بينة يا كابتن

يضحك لتريمي وذو اللحية الزرقاء يعود الحاجب - الحاجب : جلالة الملك يقفون في انتظام يؤدون واجب البلاط كمن يؤدي واجباً ثقيلاً ثم يدخل الدوفين من خلل الستائر وفي يده ورقة وهو في الواقع قد أصبح الملك شارل السابع منذ مات أبوه ، ولكنه لم يكن قد توج بعد ، وهو في السادسة والعشرين، وله جسم ضعيف حقير وكانت تجرى العادة بالإلحاح في حلق الرأس فلا تبدو من تحت غطائه بادية من شعر ، فزاد هذا في منظره قبحاً وكانت عادة تجري في الرجال والنساء على السواء وكانت له عينان صغيرتان ضيقتان متقار بتان ، وأنف متهدل طويل يتدلى من فوق شفة عليا سميكة قصيرة وعلى وجهه يمة الكلب الصغير الذي اعتاد الرفس الكثير فيؤذيه الرفس ولم يصلح منه شيئا ولكن لم تكن فيه جلافة أو غباوة وكانت له فكاهة في صفاقة أعانته على حسن الدفاع عن نفسه في الأحاديث وكان في هذه الساعة تاج الشاعر كالطفل وجد لعبة جديدة دخل واتجه إلى المطران عن يساره فتراجع لاهير وذو اللحية الزرقاء نحو الستائر شارل : أتدرى يا مطران ما بعث لي روبير دى بدريكور من فوكولور؟ المطران : في احتقار أنا لا أحتفل بعبائتك الجديدة

شارل : غاضبا ليست هذه لعبة بوجه عابس متجهم على كل حال أنا في غنى عن احتفالك .

المطران : سموك يغضب من غير ضرورة شارل : متشكر إنك دائماً حاضر بخطبة تعظ بها التريمي : في غير رقة كفاك شكوى ثم ماذا بيدك ؟ شارل : وما شأنك في هذا ؟

الترِيمي : إن من شأني أن أعلم ما يجري بينك وبين حامية شوكولور ويجذب الورقة من الدوفين ويبدأ يقرؤها في صعوبة و يتتبع كلماتها بأصبعه كلمة كلمة ، يتهجى مقاطع الكلمات مقطعاً مقطعاً شارل : كسير النفس إنكم جميعاً تحسبون أن لكم أن تعاملوني كما تشاؤون لأني مدين لكم ، ولأني لا أحسن القتال ولكن اعلموا أن في هذه العروق يجرى دم الملوك المطران : حتى هذا مشكوك فيه يا صاحب السمو ، ولن يجد الناظر فيك شيئاً من مخايل جدك شارل الحكيم

شارل : عواجدى وذكره فلا أكاد أطيقه إنه غلا في الحكمة فلم يكتف بنصيبه منها ، وجار على أنصبة الأسرة جميعها واستحوذ عليها كلها لحسة أحقاب تأتي من بعده ، وخلفني بينكم سخيفاً ضعيفاً تمتهنوني وتتوعدونني جميعا .

المطران : اضبط نفسك يا سيدى فهذه الغضبات الصارخة لا تليق

شارل : أموعظة أخرى أشكرك أليس من الأسف الكثير أن القديسين والملائكة لا تأتيك برغم أنك مطران؟ المطران : ماذا تعني ؟ شارل : ها ، ها سل هذا المتغطرس الشرير يشير إلى الترِيمي

الترِيمي : وقد هاج غضباً احبس لسانك ياهذا أتسمعني ؟

شارل : بالطبع أسمعك فلا داعي للصراخ إن كل من في القلعة يسمعك قل لى ، لماذا لا تذهب إلى الإنجليز وتصرخ فيهم هذا الصراخ، وتهزهم نيابة عني ؟

الترِيمي يرفع قبضة يده مهدداً أنت أيها ال شارل : يجرى وراء المطران إياك أن ترفع يدك على إنها الخيانة العظمى الامير : حلماً أيها الدوق حلماً

المطران : بقوة لا، لا إن هذا لايجدى سيدي الأمين الأكبر ، أرجوك ، أرجوك ، فلا بد من بعض النظام فينا إلى الدوفين وأنت يا سيدي إن عجزت عن حكم مملكتك فلا أقل من أن تبغى حكم نفسك

شارل : موعظة أخرى أشكرك

التريمي : يعطى الورقة للمطران خذ واقرأ لي هذه الورقة المنكودة لقد أصعد الدم إلى رأسي شارل : يخرج من خلف المطران ويذهب وراء الثريمي و يطل من فوق كتفه اليسرى أنا أقرؤها لك إن أحببت أنا أعرف كيف أقرأ ، حقاً لا كذباً التريمي باحتقار شديد ، وبدون أن يؤثر فيه التعبير اللاذع الذي قصده شارل نعم تعرف أن تقرأ ، وهذا كل ما تصلح له أقرأت ما بها يامطران ؟

المطران : كنت أحسب بدريكور أعقل من هذا إنه يبعث إلينا بنت فلاحة معتوهة شارل : مقاطعا لا، لا، إنه بعث ملكاً إنه بعث قديسة وهي تجيء إلى أنا ، نعم إلى أنا ، أنا الملك لا إليك أنت يا مطران ، برغم قداستك فإن أنت جهلت الدم الملكي أين يكون فقد عرفت هي مكانه يمشي إلى الستار من بين لاهير وذى اللحية الزرقاء رافعاً أنفه نغوراً زاهياً.

المطران: لن ترى هذه الفتاة البلهاء شارل : ينفلت راجعا ولكني أنا الملك وسوف أراها .

التريمي : بقسوة إذن فهي لن تراك ، فاذا عندك الآن؟ شارل : قلت لك سأراها ، وفي هذه المرة سأعرف كيف يضاع أمري

ذو اللحية الزرقاء : ضاحكا منه باصى باشق ماذا كان جدك الحكيم يقول لو أنه سمع منك هذا ؟

شارل : سؤالك هذا دليل جهلك ياذا اللحية الزرقاء إن جدي كانت له قديسة تعلو في صلاتها في الهواء وتخبره بكل ما يود علمه وأبي المسكين كانت له قديستان ، مارى دى ما وجسك أفنيون إن هذا من تقاليد الأسرة ، فلست أبالي بالذي تقولون ، فلا بد لي من قديسة أنا أيضا

المطران : إن هذه المخلوقة ليست قديسة ، وما هي حتى بالمرأة المحترمة إنها لا تلبس ملابس النساء ، بل ملابس الجند ، وهي تركب مع الجند وتطوف الريف مع الجند ، فهل تحسب ياصاحب السمو أن امرأة كهذه خليقة بالدخول إلى بلاطك ؟ الأمير : صه ذهب إلى المطران أتقول إنها فتاة تلبس درعا كالجنود؟ المطران : هكذا يصفها بدريكور

الامير : ولكن ، وحياة كل عفريت، وعزة كل شيطان مريد - آه عفوك اللهم ماذا أقول ؟ - بل وحياة العذراء مريم وعزة القديسين أجمعين إن هذه إلا الملك الذي صعق فرنك البذاء وقتله لفحش لسانه

شارل : فرحا بنصره ألا ترون إنها معجزة الامير : أخشى أن تصعقنا جميعاً إذا نحن أسأناها ، فبربك يامطران إلآ وزنت ما تقول وتفعل الطران : بشدة كلام فارغ من هذا إن هو إلا رجل سافل سكير ساقه القدر إلى بئر فسقط وغرق فيها مصادفة من مصادفات الحوادث

الامير : أنا لا أعرف المصادفات ماهي ، ولكني أعرف أن الرجل مات ، وأنها قالت له إنه سيموت .

المطران : ولكنا سنموت جميعاً يا كبتن

الأمير : يصلب على صدره أعوذ بالله من الموت يتراجع خشية الاستمرار في الحديث

ذو اللحية الزرقاء : من الميسور أن نكتشف إن كانت هذه الفتاة ملكا أو غير ملك دعونا ندعي إذا هي حضرت أني أنا الدوفين ، ثم ننظر ما سيكون منها ، أتعرفني ، أم تجوز الحيلة عليها

شارل : إلى موافق ، فإذ هي لم تتبين أين يجرى الدم
الملكي فلاعرفها ولاعرفتي

المطران : إن تنصيب القديسين من عمل الكنيسة ، فا بال بدريكور يدخل فيا لا يعنيه ، وما بال يغتصب القساوسة أعمالهم لا والله ، لن تدخل هذه الفتاة هنا أبدا

ذو اللحية الزرقاء : ولكنك يا مطران

المطران : بصلابة إني أتكلم باسم الكنيسة إلى الدوفين فهل تجسر أن تأذن لها في الدخول ؟

شارل : (مرتاعا ولكنه عابس) إذا كنت تنذرني بقطعى من الكنيسة فبالطبع ليس لى ما أقوله ولكنك لم تقرأ ذيل الكتاب بدريكور يقول إنها ترفع لنا الحصار عن أرلين ، وتهزم لنا الإنجليز

التريمي : كلام هراء

شارل : إذن فهل تقوم أنت برفع الحصار بكل ما أوتيت من غلظة وطغيان

الثريمي : لا تسبنى في وجهي ، أفسامع أنت ؟ إنى حاربت أكثر مما فعلت أنت

أو تفعل أبدا ، ولكني لا أستطيع تقطيع نفسي هنا وهنا

شارل : لا بأس عليك ، في هذا بعض البلاغ

ذو اللحية الزرقاء : (يأتي بين المطران والملك أليس عندك جاك نوا على رأس جيوشك في أزلين ، دنوا الشجاع ، دنوا الوسيم القسيم ، دنوا البطل البارع الذي لا يقلب ، دنواحبيب النساء جمعاء ، دنوا ابن الفاعلة ذو الملاحة والجمال ؟ أفقل أن فتاة من بنات الريف تقدر على ما لا يقدر عليه هذا الرجل ؟

شارل : إذن فله لايرفع الحصار عن أزلين ؟ الامير : إن الرياح تهب على غير هواه

ذو اللحية الزرقاء: أرلين ليست على بحر النش، فاله والرياح تهب على غير هواه ؟

الامير : إن أرلين على نهر اللوار ، والإنجليز ممسكون برأس الجسر ، فلا بد له إن أراد أن يأخذه من ورائهم أن يرسل رجاله عبر النهر وضد التيار ولكن ريحا قوية لعينة لا تفتأ تهب عكس اتجاهه وقد أمر القساوسة أن يقيموا الصلوات ويدعوا الدعوات عسى أن تتغير الريح دون جدوى ، ودفع لهم عن صلواتهم ودعواتهم أجراً كثيراً حتى أمله الدفع فالذي يحتاجه الآن معجزة تنزل عليه من السماء إنكم تقولون لي إن الذي فعلته الفتاة لفرنك البداء لم يكن من المعجزات في شيء فهبوها لم تكن معجزة ، ولكنها قضت عليه قضاء مبرما وهذه الفتاة لو أنها دعت للريح فتغيرت وجهتها ، في وسمر أيضا أن لا تعدوا ما تصنع معجزة ، وهذا لا يضير شيئا ، ولكنها قد تقفي بذلك على الإنجليز قضاء

مبرما فيا ضير هذا ، وما ضرر التجربة فيه ؟

المطران : وقد جاء على قراءة الكتاب كله وأخذه التفكير يظهر أن بدريكور لا شك تأثر بأمر هذه الفتاة تأثرا كبيرا

الأمير : إن بدريكور جحش كبيرولكنه جندي مكين أيضاً ، فهو لوظن أنه غالب الإنجليز، لظن ذلك معه الجيش كله التريمي : إلى المطران وهو في تردد خذهم على هواهم وأعطهم مايريدون إن رجال دنوا مسلمون البلاد لا محالة ، مسلموها على الرغم منه ، إذا هم لم يأتهم من يشد أزرهم ويحي أملهم ويبث الجرأة في قلوبهم

المطران : إن الكنيسة لا بد لها من امتحان الفتاة قبل أن يقضى بأمر فيها وعلى هذا ، فما أن سموه يرغب في حضورها ، فدعوها تدخل إلى البلاط لاهير : سأجدها وأدعوها ليخرج شارل : تعال معي يا ذا اللحية الزرقاء ، وهيا نهئ أمينا حتى لا تستطيع الفتاة تمييزى فكن أنت الملك يخرج من خلال الستائر

ذو اللحية الزرقاء : أنا أكون هذا الشيء الحقير اللهم عفواً يارب السماء يخرج وراء الدوفين التريمي : أترى تستطيع الفتاة تمييز الدوفين ؟ المطران : بالطبع تميزه التريمي : وكيف ؟ أنى لها عرفانه ؟

المطران : إنها تعرف ما يعرفه كل الناس في شينون : أن الدوفين أحقر من في البلاط منظراً وأخسهم ملبساً ، وأن الرجل ذا اللحية الزرقاء إن هو إلا چل دى ريه التريمي : فاتني أن أذكر هذا

المطران : إنك لا تعلم من أمر المعجزات ما علمت أنا إن علم المعجزات من

بعض صناعتي التريمي : وقد اختلط فكره واستاء قليلا مما قال المطران ولكن هذا لا يكون معجزة أبدا

المطران : في هدوء ولم لا؟ التريمي : خلنا في الجد وقل لي ما هي المعجزة ؟

المطران : إن المعجزة ياصديقي حادث يبعث فيك الثقة ويخلق الإيمان فهذا طبيعة المعجزات ، وهذا مقصدها   والمعجزات قد تظهر غريبة جدا لمن يشهدونها ، وقد تظهر في غاية البساطة لمن يأتونها ولكن لا ضير من هذا ، فهي معجزات حقا ما بعثت في الناس الإيمان حقاً التريمي : حتى ولو كانت خداعا المطران : إن الخداع يخدع ، ولكن الحادث الذي يبعث الإيمان لا يخدع ، فهو إذن معجزة لا خداع

التريمي : يحك رقبته وقد اختلط عليه ما يسمع إنك مطران فلا بد أنك على حق ، ولو أن الريبة تبدو لي بعض الشيء فيما تقول على أني لست رجلا من رجال الكنيسة ولهذا تتعمى على هذه الأمور

المطران: نعم لست رجلا من رجال الكنيسة، ولكنك رجل من رجال السياسة وجندى من رجال الجيش ، فقل لى بالله أتستطيع جباية الضرائب من الناس أو إغراء الجند بالتضحية بأرواحهم إذا هم علموا بالواقع الجاري بدلا مما يتراءى لهم أنه الواقع الجارى   التريمي : لا وربك ، إذن لهاجوا وماجوا وأحدثوا الأحداث قبل مغيب الشمس

المطران : أليس من السهل أن تقول الحق لهما

التريمي : لن يصدقوه ورب العزة

المطران: أصبت أصبت إذن فاعلم أن الكنيسة عليها حكم الرجال لخير أرواحهم كما عليكم حكمهم لخير أجسامهم ولهذا وجب على الكنيسة أن تفعل ما تفعلوه : تقي إيمانهم بماء الشتر الثريمى : أشعر أن أسميه غشاً وخداعاً

المطران : تخطى يا عزيزي إن أنت سميته هكذا إن الأقاصيص تحكى للعبرة ، والأمثال ضرب في الناس ، فلا تسمى أكاذيب من أجل أنها تصف أحداثاً لم تقع في الزمن أبداً كذلك المعجزات ليست خدمات لأنها كثيراً ولاً أقول دائماً لاتكون إلا ابتكارات بسيطة بريئة يبتدعها القسيس ليحمي بها إيمان قطيعه إن هذه الفتاة إذا دخلت علينا فعرفت الدوفين من بين رجال البلاط ، فإن هذا المعرفة لا تقع عندى موقع المعجزة ، لأني أعلم كيف جاءت ، فهى لا تزيد في إيماني لكنها عند غيري معجزة ، ومعجزة مباركة أيضاً ، إذا هم أحسوا منها تلك الهزة التي تهتزها الأنفس وستجد الفتاة نفسها قد تأثرت أكثر من كل واحد بالذي فعلت وستجدها قد نسيت أي السبل سلكت المعرفة

المطران :يتمهل عن الذهاب برهة لا تظن أني أحب الشبل الضال والطرقات المموجة إن في الناس روما تنمو جديدة ، ونحن في جر عصر أوسع أفقاً مما نحن فيه ولو أني كنت راهباً بسيطاً ، ولم يكن من عملى حكم الرجال ، لطلبت السلام لروحي والطمئنينة لنفسي لدى أرسطو وعند فيثاغورس مؤثراً إياها على القديسين ومعجزاتهم

التريمي : ويحك من فيثاغورس ؟

المطران : حكيم كان يرى أن الأرض كرة وأنها تجرى حول الشمس

الترِيمي : أي منقل مطبق الجهالة هذا ألم تكن له عينان تبصران ؟ يخرج الرجلان معا من خلال الستائر ، و بعد برهة تعود الستائر فتنفرج فتكشف عن قاعة العرش حتى أقصاها ، فترى وقد انعقدت بها هيئة البلاط ويرى فيها إلى اليمين كرسيان من كراسى الدولة مرفوعان على منصة، وقد وقف على المنصة ذو اللحية الزرقاء يمثل دور الملك وكان ، كالبطانة كلها ، يستمتع بالأضحوكة التي اثمروا عليها استمتاعا لا يكاد يخفيه وفي الجدار وراء المنصة باب حي يحجبه ستار ، ولكن الباب الأكبر في الجانب الأيسر المقابل يخفره جند في السلاح وبين البابين طريق خال اصطف على جانبيه أهل البلاط ووقف شارل في الصف في وسط الحجرة ووقف لاهير على يمينه ، ووقف المطران على يساره ، ولكنه اتخذ موقفه جنب المنصة ووقف الترِيمي في قبالته في الصف الآخر وجلست دوقة لترمي على كرسي الملكة مدعية أنها الملكة ، واجتمع حولها طائفة من النساء من بطاتها وقفن خلف المطران ويزيد لغط الأحاديث ويشتد ، فيظهر الحاجب على الباب فلا يراه أحد

الحاجب : إن دوق لا ينصت أحد إن دوق ليستمر اللغط ، فيغضب الحاجب لانصرافهم عنه وعجزه عن لفتهم إليه فينتزع من أقرب حارس رمحه ، وهو رمح له رأس بلطة ، فيضرب زجه الأرض عندئذ يذهب اللغط وينصت الجميع وتجتمع عيون القوم عليه أنصتوا ثم هو يعيد الرمح إلى الحارس إن دوق فندوم يقدم الفتاة چان إلى الملك شارل : يرفع سبابته إلى شفته يحذر من الكلام صه ثم هو يختفي وراء أقرب رجل من البطانة ولكنه يطاول برأسه من ورائه ليرى ما يجرى ذو اللحية الزرقاء : خلوا لها السبيل إلى عرشنا

لتدخل چان يقودها نبيل من النبلاء حيي صامت وهي في لباس الجند ، قد قصت شعرها وتعلق كثيفا حول وجها وما تكاد تدخل حتى تتخلص من يد النبيل وتقف تبحث فيمن حولها عن الدوفين الدوقة : تتحدث إلى أقرب الوصيفات انظري انظري شعرها عندئذ لا تطيق السيدات حبس الضحك فيرسلانه عالياً

ذو اللحية الزرقاء : يحاول ألا يضحك ويشير إلى السيدات بيده غير راض عما هن فيه من حبور لا سيداتي چان لا تنزعج ما جرى إلا أفعل هذا بشعري لأني من الجند أين الدوقين ؟

تتوجه چان ناحية العرش فتجري في الحاضرين ضحكات محبوسات مسموعات ذو اللحية الزرقاء : في تواضع إنك في حضرة الدوفين فتنظر چان إليه في ارتياب ساعة من الزمان ، وتأخذ تتفحصه من رأسه إلى قدمه ، والقوم موت ينظرون ما عسى أن تفعل ثم ينبثق في محياها سرور النكتة فتقول

چان اطلع مما أنت فيه ياذا اللحية الزرقاء ما مثلك من يخدعني ثم قل لى أن الدوفين تنطلق ضحكات عاليات في البلاط إذ يشير ذو اللحية الزرقاء إشارة الخيبة والتسليم ، ثم يضحك مع الضاحكين وينط من المنصة إلى جانب نتريمي

أما چان فتنكص عن العرش ، وفي فمها ابتسامة عريضة ، تبحث في الصفين عن الموفين ، وما هي إلا برهات حتى تغوص في أحدها فتمسك بذراع شارل وتخرجه إليها چان : ترفع يدها عن شارل وتثني له ركبتيها احتراماً أيها الدوفين ، يا صغير ، يا رقيق ، يا رفيق ، إنى مرسلة لطرد الإنجليز عن أزلين وعن فرنسا ، ولتتويحك ملكاً في كاتدرائية رانس ، ففيها يتوج كل ملك حق من

ملوك فرنسا الأصيلين شارل :يتحدث إلى رجال البلاط مزهوا بنصرته عليهم أفرأيتم يا هؤلاء جميعاً كيف تعرفت الفتاة فعرفت أين يوجد الدم الملكي فالآن من منكم يجرؤ فيقول إني لست ابن أبي ؟

يتحدث إلى أما أنت فإذا أردت تتويجي في رانس فعليك بالتحدث في هذا إلى المطران لا إلى وها هو وكان المطران خلفها

چان : تدور على قدميها في سرعة إلى المطران وقد هيمنت عليها عاطفة شديدة مولاى تسقط أمامه على ركبتيها وتحني رأسها وتخشع له فلا تستطيع أن ترفع إليه بصرها مولاي ، أنا لست إلا فتاة ريفية قليلة القدر مسكينة ، وأنت رجل جليل الخطر ، قد حباك الله بالقمر الكثير من بركته ومجده ، فبالله عليك إلآ مسستني بيديك وباركتني ما بارك الله

ذو اللحية الزرقاء يهمس إلى تريمي أن الثعلب الشيخ قد احمر خجلاً

التريمي : تلك إذ معجزة أخرى

المطران : يرق لما قالت الفتاة فيضع يده على رأسها ثم يقول أي بنيتي ، إنك تخلصين له الدين ، وتحبين الإيمان حب صدق ويقين چان : تفزع وترفع بصرها إليه أأنا هكذا ؟ إني لم أفكر قط في هذا فهل في حب الدين ضير ؟

المطران **:** ليس في حب الدين أضرار يا بنيتي ولكن فيه أخطار

چان : تنهض وقد شع في وجهها اغتباط ينم عن قلة تقدير المخاطر إن الأخطار في كل شيء وفي كل مكان ، إلا الجنة أي مولاي ، لقد منحت القوة نفسي ، وبثت الجرأة والإقدام في قلبي ألا ما أجمل وما أمتع أن يكون المرء مطراناً

تفتر ثغور القوم عن ابتسامات عريضة ، تصل أحيانا إلى ضحكات مكتومة مسموعة

المطران : يستقيم في وقفته وقد رق حسه واضطرب اتزانه مما جرى) أيها السادة ، إن في شدة إيمان هذه الفتاة لزجرا لكل ما بدا فيك من خفة وطيش إني لست إلا رجلا ضيقا حقير ، وكان الله في عوني ، ولكن هذه البسمات والضحكات خطيئات هلكات تستقيم الوجوه و يسود السكون) ذو اللحية الزرقاء : مولاي، ما كنا نضحك منك بل منها
المطران : ماذا تقول ؟ انكم لاتضحكون مني أنا الضيف العاجز ولكنكم تهزأون بإيمانها ! اسمع ياچل دى راى ، إن هذه الفتاة تنبأت بأن السباب الكفار يفرق بخطيئته

چان : تجزع حتى تضيق عن السكوت لا لا
المطران : سكتها بإشارة وأنا الآن أتنبأ بأنك ستشتق بخطيئتك إذا أنت لم تتعلم متي تضحك ومتى تصلى لله

ذو اللحية الزرقاء : مولاي إلى خجل وآسف على ما كان فماذا أصنع فوق ذلك ؟ ولكنك إن تنبأت بأني لابد مشنوق فهذه النبوءة ستقر دائما في خاطرى وستفرينى بمد يدي إلى الحبال ، وسأقول لنفسي دائما إن كان لا بد من الشنق ، فليكن موتى في جمل ، يتشجع القوم عند هذه ، ويعودون إلى الضحك فى كبت چان : وقد ساءها ما حدث سوءا كبيرة إنك ياذا اللحية الزرقاء رجل لا نفع فيه ولا رجاء إن من الوقاحة الكبرى ردك القول على المطران

لاهير : يقول والضحك الشديد يغلبه أحسنت يا فتاة أحسنت أحسنت والله

الفتاة : تقول للمطران في ضجر وجزع مولاى ، لم لا تصرف هؤلاء السخفاء عني حتى أستطيع أن أتحدث وحدى إلى الدوفين ؟

لا هير : في انبساط أنا تكفيني الإشارة عن العبارة ثم هو يرفع يده بالسلام و يدور على عقبيه ثم يخرج والمطران : هيا بنا أيها السادة إن الفتاة جاءت تحمل بركة الله فأطيعوها يخرج الكل ، بعضهم من الباب الجانبي ، و بعضهم من الجنب المقابل له ويمشي المطران عبر القاعة إلى الباب يتبعه الثريمي وزوجته الدوقة وعندما يمر المطران بچان تسقط على ركبتيها وتقبل طرف كسائه قبلات حرار ، فيهز المطران رأسه بحكم الطبع رافضاً ما تفعل ، ويجذب كساءه منها ويذهب ، فتظل راكعة حيث هي ، فتسد بذلك الطريق على الدوقة إلا أن تحيد الدوقة : في برود من فضلك خليني أمر

چان : تنهض سريعاً وتتراجع عن موضعها طبعاً تفضلي ياسيدتي وتقبلي معذرتى تمر الدوقة وتظل چان تنظرها ، ثم تسأل الدوفين همساً چان : أهذه ملكة؟ شارل : لا ، ولكنها تحسب أنها ملكة

چان : تعود فتنظر الدوقة من ورائها أوها وكانت الدوقة في لباس فاخر قد حدد خطوط جسمها ، فلما صاحت جان من العجب الذي أخذها لم تكن صيحتها كلها إعجاب التريمي **:** يقول للدوفين في توكيد كثير أرجوك ياصاحب السمو أن تتكرم فلا تعود إلى السخرية بزوجتي يخرج وقد سبقه الآخرون إلى الخروج چان : إلى الدوفين من هذا الرجل الفظ الغليظ ؟ شارل : هو دوق الثريمي چان

: وما عمله ؟

شارل : يدعي أنه يقود الجيش ، وكلما وجدت صديقاً عزيزاً على قتله

چان : ولم تأذن له في قتله ؟

شارل : يضيق صدره ، فيتوجه من القاعة إلى ناحية العرش جرى من جاذبيتها كيف أمنعه ؟ إنه يتهددني إنهم يتهددوني جميعاً

چان : أتخافهم ؟

شارل : نعم أخافهم ، ولا فائدة من وعظك إياي في هذا إن العراك ليس من شيمتي ، وهو لا بأس به في هؤلاء الرجال الضخام ، فهم يستطيعون حمل هذه الدروع التي تثقل على ، وحمل هذه السيوف التي تنوء بها يدي ، ولهم عضل قوي ، وصوت صياح ، ومزاج غضوب منگر فهم يحبون القتال فإن قعدوا عنه اشتغلوا بالسخافات وأزروا بأنفسهم ما داموا عنه قاعدين ولكني هادئ الطبع عاقل ، فلا أريد قتل الناس ، وإنما أريد أن أترك وحدي أستمتع بالحياة على نحو ما أهوى إني قط ما طلبت أن أكون ملكا وإنا صبت على الولاية غصبا فإن كنت حضرت إلى لتدعوني إلى القتال - إن كنت وفدت على لتهتف بي قم يا ابن سانت لويس فتقل سيفك وسر بنا قدماً إلى النصر ، فرجائي إليك ن تفرى عليك أنفاسك لتبردى بها طعامك ، فا أنا بقادر على ذلك إني لم أخلق لهذا ولكنى چان **:** اتجبيه في إمرة وبعزم قاطع نحن كلنا مثلك عند البداية ولكني سأبعث الجرأة فيك

شارل : ولكني لا أريد أن تبعثى الجرأة في إنى أود النوم في فراش وثير تحوطه الطمأنينة والسلام ، وأكره العيش المضطرب والخوف الدائم من أن

أقتل أو أجرح ثبتي الجرأة في غيري ، وأعطيهم من الحرب حتى يطيبوا ، ولكن دعيني وحدي فالوحدة هنائى

چان : لا فائدة من كل هذا ياشارل لابد أن تنهض لما اختارك الله له إنك إن أخفقت في الملك ، لم تجد وراءك غير الشحاذة ، فما أنت بأهل لصناعة غيرها اذهب إلى العرش فاجلس عليه وأرني كيف تكون فوقه ، فقد طالما اشتقت إلى رؤيتك فيه

شارل : وماذا يغني جلوسي على العرش وغيري ممن رأيت يأمر وينهي على هواه ومع هذا ليجلس على العرش فلا يملؤه ولا يملأ العين ، ويستدر الرحمة من كل راء فهذا هو الملك فانظريه ، واملئي عينك من هذا الزري الحقير

چان : إنك ياصبي لست بعد ملكا ، فأنت لا تزال الدوفين احذر أن يفت في عضدك ما تسمع من القوم حولك إن الملابس الجميلة والحلى الفاخرة لا تملأ فراغ الرؤوس الخاوية إن لي خبرة بالناس ، بالناس الأصيلين ، برجال الشعب الذين يصنعون لك خبزك ، فاعلمي أن هؤلاء لا يعدون رجلاً ملكاً إلا أن يصب الزيت المقدس على رأسه ، وإلا أن ينصب ويتوج في كتدرائية رانس إنك رث الثياب ياعزيزى شارل فما بال الملكة لا تعني بك كما ينبغي ؟

شارل : نحن فقراء جدا ، والملكة في حاجة إلى درهم تقتصده لتستر به ظهرها وعدا هذا فإني أحب أن أراها جميلة الثياب ، ولا أبالى ما ألبس أنا على أن منظرى قبيح دائما لبست أو لم ألبس

چان : أنا ألمح فيك بعض الخير يا شارل ، ولكنه لم يصل بعد أن يكون جديراً

بعملك

شارل : سنرى ما تأتي به الأيام إني غبي المظهر ، ولكن قلبي ليس فيه كل هذا الغباء إن عيني مفتوحتان وقلبي بصير ، فصدقيني إذا قلت لك إن معاهدة واحدة طيبة خير من عشر انتصارات في الميدان إن هؤلاء القوم الذين يحاربون يخسرون في المعاهدات ما يكسبونه في المحاربات ، فياليت لنا من الإنجليز معاهدة واحدة ، إذن خسروا فيها كل الخسران ، لأنهم في صراع الأجسام خير منهم في صراع العقول

چان : إن غلب الإنجليز فالمعاهدة مهمة لهم ، ولفرنسا رحمة الرحمن من بعد ذاك لا بد من الحرب يا شارل حارب راغبا أو مر غما ، وسأتقدمك لأقوى قلبك لم يبق لنا الآن إلا الإقدام ، فلنمسك عليه بيدينا كلتيهما خشية أن يفلت منا ، ولندع الله في صلواتنا المزيد منه بيدينا كلتيهما كذلك

شارل : ينزل عن العرش ويمشي عبر القاعة مرة أخرى هربا من لجاجتها الغالية أرجو أن تكئ عن ذكر الله والصلوات ، فإني أضيق ذرعا بمن يدعون دائما ويصلون ألا يكفينا غمنا أنا نأتي الصلاة رغماً في أوقاتها چان : ترق له وترقي يا صبي يا صغير يا مسكين ، إنك لم تصل قط في حياتك إني سأعلمك الصلاة من البداية

شارل : أنا لست صبياً ، بل رجلاً نامياً كاملاً ، ووالداً ، وقد فاتنى دور التعلم فلن أتعلم الآن شيئا

چان : أي نعم ، إن لك ولد صغير سيكون من بعدك لويس الحادي عشر ، أفلا

تحارب من أجله ؟

شارل : لا إنه ولد قبيح إنه يكرهني إنه يكره كل الناس ، ولا يحب البهيم الأنانى إلا نفسه إني لا أريد أن أعتنى بالأطفال لا أريد أن أكون أبا ، ولا أريد أن أكون ابنا ، لاسيما ابنا السانت لويس إني لا أريد أن أكون شيئا من كل تلك الأشياء الجميلة الفاخرة التي تملأون بها رؤوسكم ، وإنما أريد أن أكون كما أنا فلا تقصرون أنفسكم على أموركم ، وتدعوني أغني كيف أعتنى بأمر نفسي ؟

چان : تعود إلى احتقاره ما عنايتك بأمر نفسك إلا كعنايتك بأمر جسدك ، هي أقصر الطرق إلى العلة والسأم وما أمر نفسك وما أمر نفسي ؟ أمري أن اعين أي في البيت، وأمرك أن تدلل الكلاب فاعلم أنا هنا لإنفاذ أمر الله لا أمرنا وعندي من الله رسالة إليك، أنت لابد مصير اليها ولو طار قلبك منها هلما

شارل : إني لا أريد رسالة ، ولكن هل عندك علم الأسرار وإتيان الكرامات ؟ أتبرئين المريض وصحين العليل ؟ أتستطيعين قلب الرصاص ذهبا أو شيئا من هذا القبيل ؟

چان : إني أستطيع قلبك ملكا، في كتدرائية رانس وتلك معجزة ستكون على ما أرى غير هينة

شارل : إذا نحن ذهبنا إلى رانس ، وكان هناك تتويج ، فستحتاج آن إلى ملابس جديدة ليس في وسعى شراؤها أما أنا فيكفيني ما أنا عليه

چان : ما أنت عليه ؟ وما هذا ؟ إنه دون ماعليه أحقر راع في خدمة والدي إن لك أرض فرنسا إرثا حلالا، ولكنك في حكم الشريعة لا تملكها حتى تتوج ملكاً

شارل : إني في حكم الشريعة لن املكها على أية حال فهل يدفع التتويج عني ديوني ويفك عنى رهوني إنى رهنت آخر فدان إلى المطران وإلى هذا الغطريس السمين إنى مدين حتى لذي اللحية الزرقاء

چان : في غيرة وإخلاص شارل إني من الأرض أتيت، وعلى الأرض عملت ، ومن العمل فيها كسبت قوتي فاعلم أن الأرض لك لتحكمها بالعدل وتحفظ فيها سلام الله ، لا لترهنها كما ترهن أم سكيرة ملابس أولادها إعلم أني جئتك من عند الله الآمرك بالركوع في كتدرائية الله ، وأن تعلن فيها في خشوع أنك تخرج عن ملكك لله إلى أبد الآبدين ، لتصبح بعد ذلك سيد الملوك على هذه الأرض بأنك عبد الله وجنده ورسول الله وخليفته عندئذ يصبح كل الذي بفرنسا مقدساً حتى ترابها ، ويصبح جندها جند الله ، وعصاتها الأوقات عصا لله وعندئذ ترى الإنجليز عندك يخرون إلى الأذقان شعثا يرجونك الإذن لهم أن يعودوا في سلام إلى بلادهم التي شرعها الله لهم أفاعل أنت ما أرجوه ، أم تفعل بي ما فعل يهوذا فتخون وتخون من بعثني ؟

شارل : ينجح فيه الإغراء أخيراً أواه من لي بالجرأة فأجيب إلى ما تطلبين

چان : الجرأة أنا أجرؤ ، ثم أجرؤ، في سبيل الله أفمعى أنت أم على ؟

شارل : سأخاطر وليكن ما يكون إنى أحذرك من الآن إني قد تخور عزيمتى أثناء السبيل ، ولكني على كل حال سأخاطر والآن انظرى ما أفعل يجرى إلى الباب الكبير ويصيح هلموا جميعاً عودوا إلى جميعاً يرجع جاريا إلى الباب الخلفي المقابل وهو يقول لچان لا تتركيني ، والزمي جانبي ، وامنعيهم أن

يتهددوني يصيح من الباب الجانبي تقدموا جميعا ياكل البلاط يجلس على كرسى الملك، بينما هم جميعاً يسرعون إلى الوقوف في أماكنهم حيث كانوا أولاً، وتشتد فيهم جلبة الأحاديث ويكثر بينهم التساؤل والتعجب والآن جاء دوري لأصطليها ، ولكني لا أبالي ، وهأنذا أرى بنفسي فيها إلى الحاجب أنت يا ابن البهيم صرخ فيهم بالسكوت لا أبالك

الحاجب : يختطف رمحاً من حارس كما فعل أولاً، ويخبط بزجه الأرض مراراً سكوتاً لجلالة الملك سكوتاً فالملك يتكلم بإمرة سكوت يا من هناك يسود السكون

شارل : ينهض لقد أعطيت قيادة الجيش إلى الفتاة ، فالفتاة تتصرف بالجيش كيف تشاء ينزل عن المنصة يسود على القوم العجب ويسر لاهير وينتشي فرحاً ويضرب بقفازه على نغذ درعه ، وهي من الفولاذ

التريمي : يتجه إلى شارل مهدداً ما هذا إني أنا قائد الجيش يهم شارل بطبعه إلى التراجع ، فتسرع چان فتضع يدها على كتفه تطميناً وتثبيتاً فيجتهد شارل في جمع كل شجاعته وحشد كل عزمه للظهور بالقوة ، فيسفر مجهوده عن إسراف كثير إذ يقصف بأصبعيه في وجه كبير أمنائه

چان : حسبك هذا جوابا أيها الفظ الغليظ ثم تفجؤها الخاطرة بأن ساعتها دنت ، فتمتشق سيفها خطف البرق ثم تصيح من من الله ولفتاته ؟ من معي إلى أرلين ؟

لاهير : وقد أخذته صيحتها فسل سيفه الله ولفتاته إلى أرلين تسقط چان على ركبتها شكراً لله ، فيسقط الكل معها ، إلا المطران فإنه يبارك عليهم بإشارته ، والتريمي فتخور قواه ويسب ويلعن .

المنظر الثالث

في أرلين ، في التاسع والعشرين من عام 1439 وكنوا ، وهو رجل في السادسة والعشرين من عمره ، يذرع الأرض بخطاه يمنة ويسرة في قطعة أرض على الجانب القبلى من نهر اللوار الفضي ، وقد أشرف منها على مسافات بعيدة على طول النهر من جهتيه وكان قد ربط بأعلى رمحه راية قليلة العرض طويلة مستدقة الطرف ، وكانت تجرى ريح شرقية قوية ، جرت الراية مجراها وحمل دنوا في يده عصا القيادة في الجيش وكان قوي البنية ، حمل درعه على جسمه حملاً سهلاً واستعرض جيئه ، ورق ذقنه وتدبب ، فبدأ وجهه كمثلث تساوت أضلاعه وبالرغم من صغر سنه ظهرت في هذا الوجه خطوط ، خطها خدمة الجيش وتحمل التبعات ، وبدت عليه تقسيمات تنبئ عن قلب طيب ونفس قديرة لا تعرف التصنع بالكذب ولا تتعلق بالأوهام وكان تابعه الصبي جالساً على الأرض ، ومرفقاه على ركبتيه ، وخداه على جمع كفيه ، وهو ينظر فى الماء متلهياً وكان الوقت مساء وكان الرجل والصبي كلاهما متأثرين بجمال النهر

دونوا : ينقطع عن السير برهة ويرفع فيها بصره إلى الراية وهي تجرى مع الريح فيهز رأسه ثم يستأنف خطاها ريح الدبور ريح الدبور ريح الدبور ريح الغرب يافاجرة ، لعوب أنت عندما نريدك جادة ، وجادة أنت عندما نريدك لعوبا ريح غرب فوق فضة اللوار ما القافية التي تنسجم مع اللوار ؟

يعود فينظر إلى الراية ويهز مجمع كفه إليها تغيري أيتها الريح عليك لعنة الله أيتها الريح الإنجليزية العاهرة ، آتي من الغرب ، من الغرب هيا يافاجرة باريحا مؤنثة ، ياريحا مخنثة ، ياصلية الرأس يا خائنة المهد، تنتهي من وراء الماء أبدا ؟

الصبي : ينهض فجأة انظر : انظر هناك هناك دنوا يقطع عليه الفزع أفكاره ويسأل في شوق شديد أين ؟ من ؟ الفتاة ؟

الصبي :لا، بل الطائر السباك يطير خطفاً كالبرق الأزرق لقد دخل في هذه الشجيرة الكثيفة

دنوا : وقد خاب رجاؤه فغضب أهذا كل ما عندك يا غبي بالعين تحدثني نفسي والله أن أرمى بك في هذا النهر

الصبي : لايخاف من تهديد سيده ، لأنه يعلم أنه لن يفعل إنه جميل

فهذا طائر آخر دنوا : يجري في رغبة إلى حافة النهر أين ؟ أين ؟ الصبي : يشير بيده يوت القصب دنوا : فرحة نعم أراه أراه يتبعان الفرخ الطائر حتى يدخل حيث لا يريانه الصبي : إنك عنفتني بالأمس لما فاتك أن تراه

دنوا : قد علمت أني كنت أنتظر الفتاة لما أفزعتنى بصريخك إنك إن فعلت هذا مرة أخرى فسأريك كيف يكون الصريخ

الصبي : ما أجمل هذه الطيور وددت لو قدرت على صيدها

دوا : إن رأيتك تصيدها وضعتك في قفص من حديد شهراً كاملاً لأذيقك طعم الأسر إنك غلام شرير بغيض

الصبي : يضحك ثم يعود إلى جلسته الأولى دنوا : يعود إلى طائره يا طائرا يا أزرق دفعت عنك الموبقات فانصر صديقاً صادقا جنبك المزالقا وغير الريح له

صوت حارس جهة الغرب : قف مكانك من أنت ؟ صوت چان : الفتاة دنوا : دعها تمر إلى هنا يا فتاة إلى

تدخل چان مسرعة تتقد غضباً ، وعليها درع فاخرة عندئذ تسكن الريح وتتدلى الراية على الرمح وتخفق خفقاً هيناً ولا يلحظ دنوا ما حدث لاشتغاله بچان

چان : في غير تحرج أأنت ابن الفاعلة ، قائد أزلين ؟ دنوا **:** يحتفظ بحلمه، ويجيب في شدة وقوة مشيرا إلى ترسه هذي شارة الثغولة" أفلا ترينها؟ وأنت ، أأنت چان الفتاة ؟

چان : نعم أنا هي دنوا : وأين جنودك ؟

چان : ورائي بأميال عدة إنهم خدعوني جاءوا بي إلى هذا الشاطى وقد كنت أريد ذاك دنوا : إني أوصيتهم بذلك چان : ولم هذا ؟ إن الإنجليز على الشاطئ الآخر دنوا : إن الإنجليز على الشاطئين جميعاً

چان : ولكن أزلين على الشاطئ الآخر ، ونحن ننازلهم هنالك ، فقل لي كيف نعبر النهر دنوا : في عبوسة إن على النهر جسراً چان : إذن فبالله إلآ عبرنا النهر ووقعنا عليهم دنوا : هذا أمر ظاهره سهل ولكنه محال چان : من يقول هذا ؟ دنوا : أنا أقول هذا ويقول هذا رجال أسن مني وأحكم چان **:** في صراحة وبغير مداراة إذن فاعلم أنهم رجال أغبياء بلهاء ، ضحكوا عليك أولا، وهم يريدون أن يضحكوا الآن على فيأتوا بي إلى الجانب الخاطيء الأبعد من النهر : أتدري أني جئتك مدد لم يجي مثله إلى قائد أو بلد أبدأ؟

دنوا : يبتسم مصابرة أهذا مدد منك أنت ؟ چان : لا ، ولكن مدد من الله رب السموات والأرض أين الطريق إلى الجسر ؟ دنوا : أنت قليلة الصبر يا فتاة

چان : وهل هذا أوان الصبر ؟ العدو على الأبواب ونحن

هنا عاطلون لا نعمل شيئا قل لي بالله لماذا لا تحاربون ؟ أخائف أنت ؟ إذن فدعني أطرد الخوف من قلبك وأطهرك تطهيرا

دنوا : يضحك بل فيه ويلوح لها منكرا إلا، لا، يا فتاتي إنك إن نزعت الخوف من قلبي صرت فارساً بطلاً كبعض فرسان الأقاصيص ، وصرت شر قائد لجيش تعالي معي وتعلمى أول درس في الجندية يأخذها إلى حافة الماء أترين هاتين القلعتين في آخر الجسر ؟ هاتين القلعتين الكبير تين ؟

چان : أهما لنا أم للإنجليز ؟

دنوا : اسكتي وأنصتي إني لو كنت في قلعة منهما في عشرة رجال لصمدت فيها الجيش كامل والإنجليز لهم فيهما عشرات العشرات يحمونهما منا

چان : ولكنهم لن يحموها من الله إن الله لم يعطهم هذه الأرض التي عليها القلعتان فهم سرقوهما من الله بغيا وعدوانا

إن هذه الأرض أعطاها لنا الله ، فلابد لي من أخذهاتين القلعتين

دنوا : وحدك ؟ چان : رجالنا يأخذونهما وأنا أقودهم دنوا : لن يتبعك من الرجال أحد چان : لن أنظر ورائي لأرى هل اتبعني من الرجال أحد

دنوا : يدرك ما بها من شجاعة صادقة فيربت على كتفها في إعجاب كثير هذا منك جميل إنك قد سويت من طينة سوى منها الجنود إنك ثمين بالحرب

چان : تجول أوه ولكن المطران قال إني أغرم بالدين

دنوا : عفا الله عني ، فأنا أيضا مغرم بعض الأغرام بالحرب على قبحها ودمامتها إني كرجل ذى امرأتين ، فهل تريدين أن تكونى كامرأة ذات لين ؟

چان : في بساطة ساذجة أنا لن يكون لي بعل أبدا إن رجلا في ثول قاضاني لأني نقضت وعدى بزواجه ، وأنا ما وعدته أبدا إنى جندي ، ولا أحب أن يرى الناس في امرأة، وسوف لا أرتدي زي النساء أبدا إني لا أحب ما يحبه النساء إنهن يحلمن بالرجال ويحلمن بالمال ، وأنا أحلم بالطراد أقوده ، وبالمدفع الكبير أسدده إنكم أيها الجند لا تحسنون استخدام المدافع الكبيرة إنكم تحسبون أنك تنتصرون بأصواتها الداوية وأدخنتها الكثيفة دنوا : بهزة من كتفه هذا حق إن المدفعية في الأكثرية لا تساوى همها چان: ولكنك يا غلام لن تقاتل حوائط الحجر بالخيل لابد لك من مدافع ، ولابد لك من مدافع أكبر كثيرا ما تخال

دنوا : يبتسم لرفعها الكلفة بينهما، ويرد عليها بأسلوبها نعم ، ولكن المرء بقلب مكين، وأتم متين ، يتسلق أصلد الحوائط حجرة چان : وسأكون أول صاعدة على السن وصاعد ، إذا نحن بلغنا القلعة ، وإني أتحداك يا نفل أن تتبعني

دنوا : ليس لك أن تتخذى ضابطا من أركان الحرب يا چان فضباط المشاة وحدهم هم المأذونون في إظهار شجاعة ، أو إيغال في جسارة وعدا هذا ، فأنا أرحب بك لقداستك لا لجنديتك فالجند المدة المغامرون لدى منهم كفاية ، إذا دعوت بوا ولكنهم لن يغنوني شيئا چان : إني لست ماردة ، بل جارية من جوارى الله وسيفى مقدس : وجدته وراء المذبح في كنيسة القديسة كترينة ، فهناك خبأه الله لى ، وليس لي أن أضرب به رقبة واحدة إن قلي ملى شجاعة لا غضبا سأقود فيتبعني رجالك وهذا كل ما أستطيعه، وهو لابد واقع ، وأنت لا

تستطيع رده

دوا : كل شيء موقوت بأوانه إن رجالنا لا يستطيعون أخذ القلعتين بغارة يغيرونها على الجسر فلابد لهم من عبر النهر ، وعندئذ يأخذون الإنجليز من مؤخرتهم على هذا الشاطى

چان : ينشط فيها حسها العسكري إذن فقد أقام على النهر عوامات، وضع عليها المدافع الكبيرة ، ومر رجالك أن يعبروا إلينا دنوا : العوامات مقامة ، والرجال عليها ، لكنهم ينتظرون كلمة الله چان : ماذا تعني ؟ إن الله في انتظاره

دنوا : إذن فسليه أن يرسل إلينا ريحاً ، فسفانى في أسفل النهر لا تستطيع مغالبة الماء والهواء معاً ، فلا بد من الصبر حتى يغير الله الريح هيا أصحبك إلى الكنيسة .

چان : لا إلى أحب الكنيسة ، ولكن الإنجليز لا يلينون للصلوات ، ولا يفهمون غير الدق الواجع والضرب اللاسع فلن أذهب للكنيسة حتى يغلبوا

دنوا : لا بد أن تأتي معي ، فلي بانة عندك تقضينها هناك چان : أي لبانة ؟

دنوا : تدعين لنا الله أن يأتينا بريح غربية إنى دعوته ، ووهبت الكنيسة شمعدانين من الفضة ، ولكن الله لم يجب دعوتي أما دعوتك فلعلها تجاب ، لأنك صغيرة ، ولأنك بريئة

چان : أي نعم صدقت ، فسأصلي وأطلب في صلواتي من القديسة كاترينة أن تشفع لى عند الله فيأتيني بريح من الغرب ، فهيا بنا وأسرع ، وأرني الطريق إلى الكنيسة

الصبي : يعطس بشدة انشو چان : يرحمك الله ياصبي هل تغلبنا يخرجان و

ينهض الصبي لاتباعهما ، فيرفع الترس من الأرض ، ويعرج على الرمح ليأخذه فيلحظ أن الراية فوقه تجري الآن نحو الشرق

الصبي : يسقط الترس من يده وينادي وراءها في اهتياج سيدى سيدى آنستي آنستي دنوا : يعود جاريا ماذا ؟ الطائر السماك ؟ ينظر صوب النهر عسى أن يجد الطائر چان : وقد لحقت بهما أوه الطائر السماك ؟ أين هو ؟

الصبي : لالا بل الريح الريح وهو يشير إلى الراية إنه هو الذي عطسني

دنوا : ينظر إلى الراية تغير الريح يصلب على نفسه جاءت كلمة الله ينزل على ركبته ويعطى عصاه إلى چان إليك قيادة جيش الملك فقوديه ، وأنا جندي من جنودك

الصبي : ينظر أسفل النهر تحركت السفن ، وهي تمخر الماء مخر

دنوا : الآن إلى القلعة لقد تحديتنني أن أتبع ، فأنا الآن أتحداك أن تقودى ، فهل تجرين ؟

چان : تنفعل فتجرى دموعها أنهارا ، وتربى بذراعيها جول دنوا وتقبل خديه دنوا يا أخي في السلاح ، أعني على ما أنا فيه إن الدموع أعمت عيني ، فعلى السلم فضع قدمي ، وقل دونك فاصعدى يا چان

دنوا : يخرج ويجرها معه كفكف الدمع وهيا إلى المدفع رعده وبرقه

چان :في سورة من الشجاعة آه دنوا : يجرها معه في سبيل الله والقديس دونى

الصبي : بصوت حاد رفيع في سبيل الفتاة في سبيل الفتاة في سبيل الله والفتاة يختطف الفرس والرمح ويقفز وراءها ، وقد جن اهتياجا

المنظر الرابع

خيمة في معسكر الإنجليز دوق إنجليزي غليظ العنق شديده ، في الخمسين من عمره ، قد جلس على مقعد إلى خوان ، وانهمك في العمل انهماكا شديدا وقبالته في الطرف الآخر من الخوان ، جلس رجل من الأشراف ذوبزة ومهابة في كرسي فم ، وأخذ يقلب صحائف كتاب للأدعية مزوق وهو في عامه السادس والأربعين وبينما كان الشريف في تلهيه وتسليه ، كان القس يعاني من العمل ما يعانى ، على نفس غير راضية وغضب مكبوت وكان على يسار الشريف كرسي من الجليد لا يشغله أحد وكان على يمينه الخوان

الشريف : هذا والله الجمال جمال هذه الصنعة ، فليس في الدنيا أجمل من كتاب جميل أسطر من سواد فاحم ، قد اصطفت في أعمدة متباعدة عن سعة ، أحاطتها أطر مليحة ذات حسن ورواء ثم صور ملونة مزوفة أدخلت في السطور مخالسة هكذا تكون الكتب متعة للبصر إن الناس اليوم لا ينظرون إلى الكتب ليستمتعوا بوائها ، وإنما هم يقرأونها ، حتى كاد الكتاب يصير توصية بشوى لحم أو نخالة كالتي أنت قائم في تثبيجها

القس : لا مندوحة لى يا مولاي إلا أن أقول إنك تنظر إلى حالنا الحاضر ، وموقفنا الراهن، ببرود قاب شديد - برود قاسي يا مولاي

الشريف : في كبرياء وقلة اكتراث ماذا جرى؟ القس : جرى يا مولاي أنا معشر الإنجليز قد هزمنا الشريف : وما ضر هذا ؟ إن الهزيمة تقع أحيانا،

وأعيذك أن تجهل هذا إن العدو ينهزم وينتصر ، إلا في كتب التاريخ وفي أغاني الشعوب ، فهو دائما مهزوم

القس : ولكنا هزمنا مرارا وتكرارا أولا في أزلين الشريف : يهزأ منه و يصغر مما يقول أوه أوه أرلين

القس : أعلم ما تنوي أن تقول يامولاي ستقول إن الذي وقع في أزلين كان سحر وكهانة ، ولكنها لا تزال هزم في چارجو ، في مان ، في پوچانسى ، في كل هذه هزمنا كما هزمنا في أزلين والآن أحنا تذبيحة في پاتاى ، والسير چون طلبوت أسروه أسر يا مولاى ليري بقلمه والدمع يكاد يغلبه إني أتألم لهذا الحال يا مولاي وأتألم له كثيراً إني لا أستطيع أن أرى رجالنا وأبناء وطننا تهزم من الأجانب صغيرة حقيرة الشريف : آه !؟ أأنت إذن ممن يقولون بالأوطان ؟

أأنت انجليزي ؟ القس : لا يا مولاي ، بل أنا رجل كريم ولكنى مثل مولاي ، ولدت في انجلترا ، وهذا له خطره الشريف : أنت إذن مربوط بالأرض ؟

القس : إنه يلذ لك يا مولاي أن تهزأ بي ، وأنت رجل عظيم ، وفي عظمتك تستطيع أن تفعل ما تشاء من غير ما تحرج أو خشية ولكنك يا مولاى تعلم كل العلم أني إذا ارتبطت بالأرض فعلى غير المعنى السيئ والحال الحقيرة التي يرتبط عليها العبد القت بأرضه ، فيتنقل معها من يد سيد مالك إلى يد سيد مالك إن لي بالأرض هوى يتزايد اضطرابه لا يستحي منه قلبي ايقف مانجا ثائر، ووالله لو جرى الحال على هذا طويلا لتنهضت فزعت عن جسمى هذه القارة ورميت بها إلى الشيطان ، ثم عطفت على السلاح أحمله بنفسي ، وذهبت إلى تلك الساحرة اللعينة أخنقها خنقا بيدي هاتين

الشريف : يضحك منه عن نفس طيبة ستفعل هذا ياعزيزي القس ستفعل هذا إذا لم نستطع نحن أن نفعل خيرا من هذا ولكن أوان هذا لم يحن بعد لم يحن تماماً

يعود القس فيجلس على مقعده ووجهه عابس كئيب

الشريف في انبساط ما كان لي أن أبالى كثيراً بالساحرة إنى حججت إلى الديار المقدسة ، فالقدرة الإلهية حفظاً لسمعتها الطيبة لن تأذن بأن تهزمنى ساحرة قروية ولكن ابن الحرام سد أزلين بندقة أعصى مكسرة ، وهو قد حج مثلى إلى الديار المقدسة ، فنحن في الشرف صنوان ، على الأقل في هذا

القس : كيف ؟ إنه فرنسى يا مولاي

الشريف : فرنسي من أين جئت بهذا الاسم ؟ أبدأ هؤلاء البرجندتون والبريونيون والپيگرديون والجسكو نيون (يسمون أنفسهم فرنسيين ، بمثل ما بدأ رجالنا يسمون أنفسهم إنجليز ؟ إنهم يتحدثون فعلاً عن فرنسا وعن انجلترا بأنها أوطانهم أوطانهم ملكاً ، فانظر ما يدعون فإن شاء هذا القول وجرت في الناس هذه الدعوى ، وصارت بدعة المصر ، وأسلوبه المختار ، فماذا يكون مصيري ؟ وماذا يكون مصيرك ؟ القس : كيف يا مولاي ؟ كيف يضر هذا مصيرك أو مصيري ؟

الشريف : إن الرجال لن تخدم سيدين معا والقوم يتحدثون عن خدمة الوطن ، فإن ملك هذا الحديث الفاسد زمامهم ، فقل السلام على سلطة اللوردات الإقطاعيين ، وقل السلام على سلطة الكنيسة فمعنى هذا ضياعى وضياعك

القس : أما عن الكنيسة فأمل أن أكون خادما مخلصا لها وأما عن الإقطاع فلا

يحجبني عن بارونية إستوجبر التي أنشأها وليم الفاتح غير ست من أبناء الأعمام لكن أفي هذا أو هذا ما يجعلني أقف مكتوف اليدين أرى رجالنا الإنجليز يهزمهم هذا الفرنسي ابن الزانية ، وهذه الساحرة التي جاءت من البلاد القذرة بلاد شمبانيا

الشريف : هونا يا رجل هونا إنا سنحرق الساحرة ، وسنهزم ابن الزانية ، كلا في أوانه بل إنى الآن لفي انتظار أسقف بوفيه لأدبر معه حرقها ، فإن حزبها أخرجه من أبرشيته

القس : قبل أن تحرقها يتحتم عليك يامولاي أولا أن تأسرها

الشريف : أو أن أشتريها وسأجعل لها ثمنا لا يشترى به إلا الملوك

القس : من ملك لهذه اللحناء القذرة ؟

الشريف : لا بد من ببحة في المن ، فبعض رجال شارل سيبيعونها للبرجنديين ، وهؤلاء سيبيعونها لنا : وسيكون بين هؤلاء وهؤلاء على الأرجح سماسرة ينتظرون لأنفسهم جملا يسيرا

القس : هذا غبن فاحش إنهم أولئك اليهود الأوغاد الذين يتدخلون كلما انتقل مال من يد إلى يد ، ولو كان لى الأمر أبقيت على أحد منهم في بلد من بلاد المسيح

الشريف : ولم هذا ، واليهود يعطونك عن مالك بضاعة طيبة ؟ إنهم يملون الثمن، ولكنهم يعطونك السلعة التي تريد في اختباري أن الرجال الذين يريدون شيئا لله هم دائما مسيحيون يدخل الحاجب :الحاجب **:** صاحب النيافة أسقف بوفيه ، المنسنيور گوشون

يدخل كوشون ، وله من العمر نحو الستين ويذهب الحاجب ويقف الإنجليزيان احتراما للأسقف

الشريف **:** في أدب جم فياض عزيزي الأسقف ، اسمح لي أن أعرفك بنفسي أنا رتشرد دى بوشان ، إرل ورك ، عند أمرك

كوشون : اسم اللورد شهير ذائع ، ولى به علم وافر ورك : وهذا القس المحترم السيد چون دى استوجبر

القس : في ذلاقة لسان چون بوز إسبنسر نقل دى استوجبر ، عند أمرك يا مولاي بكالوريوس في الفقه ، وحافظ الخاتم الخاص لفخامة گونال ونشستر

ورك : إلى كوشون إنكم تدعونه كردنال انجلترا على ما أحسب إنه عم ملكنا

كوشون: يا سيد چون دى استوجبر **:** إني صديق مغامة الكردسال دائما أبدار يمد يده إلى القس فيقبل القس خاتمه

ورك : شرفني بالجلوس يقدم كرسيه إلى كوشون بعد أن يضعه على رأس الخوان يتقبل كوشون مجلس الشرف ، وينحنى شكرا في تجلة ووقار فيذهب ورك إلى الكرسي الجلد ، فيحمله في غير اكتراث إلى مكان جلوسه الأول ، ويجلس عليه أما القس فيعود إلى مقعده انت ورك مجلس الرآسة لكوشون ، وهو يقصد إلى احترامه متعمداً ، ولكنه مع هذا يبدأ الحديث آخذا بزمامه ، كأن هذا هو الشيء المفروض المنتظر الذي لا ريب فيه ويظل على وده وتبسطه ولكن نغمة جديدة تظهر في صوته تدل على أن الحديث سيخرج عن المباسطة إلى شأن ذي بال

ورك : والآن يا مولاي الأسقف قد حضرت إلينا في ساعة من ساعاتنا التي يغيب فيها الحظ عنا إن شارل سيتوج في رانس ، ستوجه على الأقرب الأصح تلك الفتاة التي جاءت من لورين ولا أريد أن أكذبك ، أو أن أحيى فيك أملاً خائباً ، فاعلم أنا لا نستطيع منع هذا التتويج وأحسب أن هذا التتويج سيحدث حدثا كبيرا في مكانة شارل ؟

كوشون : بالطبع إنها رمية من رامية ذات براعة ودهاء

القس : يعود إلى ثورته إننا لم نهزم بالحق والإنصاف أبدا إن الإنجليزي ، أني وأين كان ، لا يهزم بالحق والإنصاف أبدا رفع كوشون حاجبيه قليلا ، ولكنه يعود سريعا إلى امتلاك نفسه والتغلب على ملامح وجهه

ورك : إن صديقنا هذا يرى أن الفتاة ساحرة فإن صح هذا، كان واجب مفامتك على ما أحسب أن ثمنها بالاتهام لدى محكمة التفتيش تمهيدا لإحراقها على هذه الخطيئة

كو شون : نعم ، إذا نحن قبضنا عليها في أبرشتى

ورك : وقد أحس بتوفيق كبير فيا جرى بينه و بين الأسقف بالطبع بالطبع والآن أحسب أنه لا يوجد شك معقول في أنها ساحرة ؟

القس : لاشك أبدا إنها ساحرة من قمة رأسها إلى أخمص قدمها

ورك : يعاتب القس في رفق على تدخله إنا نطلب رأي الأسقف يا سيد چون

كوشون : إنا مضطرون أن نعتبر فوق آرائنا التي نبديها هنا ، آراء المحكمة - أو إن شئت ميولها وأهواءها .

ورك : مصححاً محكمة كاثوليكية يا مولاي كوشون : إن المحاكم الكاثوليكية ، مهما تقدس عملها وتبارك وحيها ، كل المحاكم تتألف من رجال آدميين فإذا هم كانوا فرنسيين ، على نحو ما يدعوهم لسان العصر الجديد ، فهم لن يقتنعوا أبدا بأن سحراً وقع بناء على حادثة فريدة واحدة ، هي أن جيشاً إنجليزياً هزمه جيش فرنسي

القس : كيف تقول : ألا يقتنعون بعد أن هزم الرجل الأشهر السير چون طلبوت نفسه ، وبعد أن أخذ فعلاً أسيراً ، أسرته امرأة قحبة قذرة ، جاءت من مزابل لورين

كوشون : إن السيد چون طلبوت جندى كاسر عنيف مخيف ، ونعلم عنه ذلك يا حضرة القس ، ولكني لا زلت أجهل أنه قائد قدير وإنه ليروقك أن تقول إن الفتاة قهرته ، ولكن فينا من يميل إلى إعطاء نوا بعضا قليلاً من هذا الفضل

القس : بازدراء ابن زانية أزلين

كوشون : دعني أذكرك

ورك : يتدخل أعلم ما ستقول يا مولاي ستقول إن نوا غلبني في منترچى

كوشون : ينحنى إني أتخذ هذا دليلاً على أن نوا قائد قدير جدا

ورك : مولاى مثال الفضل والكرم أما من جانبنا فإني أقر بأن طلبوت ليس إلا وحشا محاربا ، لا عقل له ولا حيلة ، ولعله نال جزاءه بوقوعه أسيرا في باتاى

القس : يأخذ في الاحتداد مولاي، إن هذه المرأة جرحت في أرلين ، أصابها سهم إنجليزي في حلقها ، ورآها القوم تصرخ كالطفل من ألمه فهذا جرح كان لا شك مميتا ، ومع هذا لم تمت ، بل ظلت تحارب به طول يومها ورد رجالنا كل

حملة حملها كما يفعل الإنجليز الصميمون، ولكنها بعد كل ذلك سارت وحدها إلى حائط قلعتنا ترفع علماً أبيض في يدها عندئذ تخدر رجالنا ، وجدوا في أماكنهم، لا يستطيعون رمياً أو ضرباً حمل عليهم الفرنسيون وطردوهم إلى الجسر ، فلما حلوه اشتعل نارا، وسقط فرى بهم في النهر فغرقوا فيه كتلا كتلا فهل كان هذا عن حذق في القيادة أتاه صاحبك ابن الفاعلة ، أم هذه النار من لهيب جهنم ، جاء بها عمل السحر وأفانين الشياطين ؟

ورك : أرجوك أن تغفر للقس چون حدته يا مولاى ومع هذا فهو قد عرض قضيتنا عرضا موفقا إن دنوا قائد كبير ، ولسنا ننكر ذلك ، ولكن قل لي بالله لماذا لم يستطع شيئا حتى جاء ته هذه الساحرة

كوشون : أنا لا أقول إن هذه الفتاة ليست بها قوى خارقة ولكن العلم الأبيض كان عليه اسم الرب واسم أمه الطاهرة ، تقدس اسمهما ، ولم يكن عليه اسم الشيطان وأمير جيشك الذي غرق ، أظنكم تسمونه كلزده

ورك : جلديل السير وليم جليل

كوشون : جلسديل أشكرك فهذا لم يكن قديسا ، وكثير من قومنا يظنون أنه غرق لسبه الفتاة ، ولكفره بالطعن فيها

ورك : يبدو كأن الشك بدأ يداخله فما الذي نستنتجه من كل هذا يا مولاي أنستنتج أن الفتاة حولتك إلى دينها؟ كوشون : لو كانت فعلت هذا يا عزيزي اللورد ، لما أمنت على نفسي أن أسلمها إليك كما أسلمتها الآن

ورك : يستعيذ في الخلف إلا إلا وعفوا يا مولاي

كوشون : إذا كان الشيطان قد تقمص هذه الفتاة ، واتخذها حقا أداة ـ وأظنه قد فعل ـ

ورك : يعود إليه اطمئنانه آه أنصت إلى هذا يا قس چون إنى يا مولاي الأسقف قد علمت في قرارة نفسي أنك لن تخذلنا أبدا لا تؤاخذني في المقاطعة ، وتفضل بالحديث كوشون : إذا كان الشيطان قد اتخذ هذه الفتاة أداة ، فان له والله نظرة أثقب مما نحسب وأبعد مدى مما نقدر له

ورك : وكيف كان ذلك بالله أنصت إلى هذه ياقسچون

كوشون : أترى لو أراد الشيطان أن يقضي باللعنة على فتاة ريفية ، أتراه يكلف نفسه في سبيل هذا الغرض كسب عشر وقائع وعناء حربها ؟ لا يا عزيزى اللورد إنه غرض يستطيعه أي عفريت صغير حقير ما قبلت الفتاة الضلال أما أمير الظلام شيخ الشياطين فلا يتنزل في سبيل ذلك إلى كل هذا العناء إنه إن ضرب فانما يضرب في قلب الكنيسة ، في قلب الكثلكة، في ولاية يشمل سلطانها الروحي العالم أجمع وهو إن لعن وأهلك فإنما يلعن ويهلك أنفس البشر جميعاً فهذه خطته الجلية وغرضه الأسمى ، والكنيسة تعرف ذلك منه ، وتحذره دائما أبدا وهذه الفتاة أراها أداة للشيطان في بلوغ أربه ، فهي ذات وحي ، ولكنه وحي الشيطان القس : ألم أقل لك إنها ساحرة ؟

كوشون: في غضب شديد إنها ليست ساحرة، إنها زنديقة ضالة ، ذات بدعة ، خارجة القس : وما الفرق بين هذا وذالك ؟ كوشون : أنت أيها القس تسألني عن الفرق ما بين هذا وذاك ؟ يدهشني معشر الإنجليز أن أرى فيكم هذا الغباء إن كل هذا الذي تسمونه سحرا تفسيره مستطاع قريب لا تمر فيه ولا التواء إن

معجزات هذه المرأة لا تجوز على حمار ، وهي نفسها لا تدعوها معجزات وانتصاراتها إن دلت على شيء فهى تدل على أنها تحمل فوق عاتقها رأساً خيراً مما يحمله صاحب السباب جلسنديل، ونوركم الكاسر المجنون طلبوت ، وهي إن دلت على شيء آخر فهي تدل على أن قوة الإيمان فوق قوة الغضب ، ولو كان الإيمان إعلاناً مكذوباً

القس لا يكاد يصدق أذنيه أتشبه يا مولاي السير چون طلبوت ، وارث إزلية آشوز برى ، بثور مجنون ؟

ورك : لا يليق بك يا سيد چون - وبينك وبين البارونية ستة يحجبونك عنها - أن تتدخل في هذا الشأن قبولاً أو رفضاً أما أنا فازل ، وما أن تلبوت لم يكن إلا سير ، ففي وسعي أن أقبل التشبيه الذي قد يسوءك إلى الأسقف : مولاى، عفا الله عما قلناه في أمر السحر والساحرة ، فاعتبر أن شيئا من هذا لم يكن ، ولكن يبقى أن هذه المرأة لا بد من حرقها

كوشون : إني لا أستطيع حرقها ، إن الكنيسة لا تقتل الأنفس التي حرمها الله ، فواجبي الأول السعي في خلاص هذه الفتاة وتطهيرها

ورك : لا شك أبداً في هذا ، ولكن قد تحرقون الناس أحياناً

كوشون : لا، إن الكنيسة إذا أعجزها زنديق كافر عنيد ، قطعته من شجرة الإيمان كما يقطع الغصن إذا ذهب عنه الماء والخضرة ، وعندئذ نسلمه إلى السلطة الزمنية، وهذه تفعل به ما تشاء دون أن تحمل الكنيسة من تبعة ذلك شيئا

ورك : هذا بالضبط ما أعني وفي هذه الحالة سأكون أنا السلطة الزمنية ، فأسلم

إلى يا مولاي هذا الغصن الجاف الذي فقد الخضرة والماء ، وأنا أهئ له النار تكفل أنت بنصيب الكنيسة، وأنا أتكفل بنصيب السلطة الزمنية

كوشون : في غضب مكظوم إنى لن أتكفل بشيء إنكم أيها اللوردات العظام تميلون دائما إلى اتخاذ الكنيسة أداة سياسية هينة في سبيل أغراضكم

ورك: في ابتسام واستعطاف لا نفعل هذا في انجلترا ، فكن بذلك واثقا

كوشون : في انجلترا أكثر من كل مكان آخر

لا يا سيدي اللورد إن نفس هذه الفتاة الريفية تدل في الميزان نفسك ونفس ملك عند الله وأول واجبي خلاصها ولن آذن لك أن تبتسم لما أقول كأني إنما أقول خرقاً ، أو كأنما كان مفهوما بيننا أني سأخون أمانة هذه الفتاة إني لست أسقفا سياسيا ، وإن إيماني مني في الموضع الذي فيه شرفك منك فأنا لو لمحت خرقا صغير تفلت منه هذه الفتاة بنت الله ، المعقدة طفلة باسم الله ، لما قعدت عن هدايتها إليه لتنفذ منه ولو زحفا إلى النجاة القس : لينهض في اهتياج أنت خان

كوشون : يقفز على قدميه إنك يا قس تكذب يرتعد غضبا إنك إذا فعلت ما فعلت هذه المرأة ، فوضعت بلادك فوق الكنيسة الكاثوليكية فستذهب معها إلى النار

القس : مولاي إني، إني أنا قد جاوزت الحد يجلس ويشير إشارة المستسلم

ورك : يكون قد توقع شرا فوقف مولاى ، إنى أعتذر إليك عن الكلمة التي قالها القس چون دى استوجبر إن معناها في انجلترا غير معناها في فرنسا ، فلفظة خان في لغتكم معناها رجل خذاع غدار لا يحفظ عهدا ولا يرعى ذمة ، أما في بلدنا فهي تعني في كل بساطة رجلا لا يخلص كل الإخلاص لمصالحنا

الإنجليزية

كوشون : إنى متأسف ، فقد كنت أجهل هذا يهبط في كرسيه في وقار

ورك : يعود فيجلس مغتبطا بانفراج الأزمة وفيما يخصني أنا ، أود أن أعتذر إن كنت استملت محرق هذه الفتاة المسكينة إن قلب الجندي يقسو ويتصلد عندما يرى مناطق من الأرض كاملة حق المرة بعد المرة، في برود قلب واطمئنان بال ، على أنها جزء عادى من واجبات حربية وخطط يومية دورية لابد من نفاذها ولولا قسوة القلب هذه ، ولولا تصلده ، لجن المرء منا جنونا ، أو على الأقل لجننت أنا فهل لي أن أتجرأ فأفرض أن مولاي أيضا حاله كالى ، وأنه من كثرة ما اضطر إلى شهوده من حرق الزنادقة حينا بعد حين ، أصبح مضطرا إلى النظر إلى هذه الحوادث البشعة نظرة المرء إلى واجب معتاد هين مألوف

كوشون : نعم إنه واجب أليم ، بل هو كما تصف بشيع ، ولكنه لا يقارن ببشاعة الزندقة والذي يتمنى من الفتاة ليس جسمها ، فالجسم يتألم بهات ، وهو مهما امتد به الأجل صائر إلى الموت على حال فيها ألم قد يزيد وقد ينقص ، ولكن الذي آلمنى روحها ، فهي قد تتعذب إلى أبد الآبدين

ورك : هذا حق لامراء فيه ، فلندع الله أن تنجو وتخلص روحها ولكني إخال أن العقدة التي تتطلب منا حلا ممكنا مستطاعا عاجلا هى كيف نفعل لنخلص روحها دون تخليص جسمها ، فلابد يا مولاى من مواجهة الحقيقة المنذرة ، فالدين الذي ابتدعته هذه الفتاة لوانتشر

القس : يتكلم فينفلق صوته كأنما كان يبكي أتأذن لي في الكلام يا مولاى ؟

ورك : الحق يا قس چون أني أفضل أن لا تتكلم ، إلا إذا استطعت كظم غضبك

القس : لا أريد أن أقول إلا هذه الكلمة ، وإن أنا أخطأت فصححوني إن هذه الفتاة يملؤها الغرور ، وهي تدعى الصلاح والتقوى ، وهي كثيرة الصلوات وتقر بالخطيئات حتى لانهاية لصلواتها واعترافاتها ، فكيف تستطيعون اتهامها بالزندقة وهي تقوم بجميع فروضها ، كما تفعل ابنة صالحة من بنات الكنيسة؟

كوشون يأخذ في الحدة ابنة صالحة من بنات الكنيسة إن البابا في أكثر الساعات إعجابا بنفسه لا يجرؤ على اداء ما تدعيه هذه المرأة إنها تفعل كأنها هي الكنيسة ذاتها ، وتأتي برسالة الله إلى شارل والكنيسة يجب أن تفسح لها الطريق وهي ستتوجه في كتدرائية رانس هي هي التي تتوجه لا الكنيسة وهي تبعث بالكتب إلى ملك الإنجليز بأن يصدع بأمر الله الذي أوحى إليها، فيعود إلى جزيرته وإلا حاق به غضب الله وهي هي التي ستحيق به غضب الله ألا فاعلموا أن إرسال هذه الكتب هكذا عادة جرى عليها قديما محمد واذكروا أنها في كل ما تقول لا تذكر الكنيسة بكلمة ، فقولها دائما في نفسها وفي الله

ورك : وماذا تنتظر غير هذا من شاذة إذا هي امتطت جوادا ؟ إن رأسها دارت كأنما سقيت خمرا

كوشون : إنه الشيطان دار برأسها ، ولسبب جلل فعل هذا إن الشيطان يبذر بذور الزندقة في كل مكان ، فمنذ ثلاث عشرة سنة قام رجل اسمه هوس في بوهيميا فأعدى الناس بها فأحرق من أجلها وفي انجلترا قام رجل قس مرسوم

اسمه وكليف ، فنشر الوباء فيها ، فتركتموه يموت في فراشه حتف أنفه فكسبتم بذلك عارا وهنا في فرنسا قوم من هؤلاء أعرفهم لن انساهم ، وأتبين جنسهم من القيام إنهم كالسرطان إذا هو لم يقطع ، إذا هو لم يقلع ، إذا هو لم يدق ويحرق ، فإنه يتمدد ثم يتمتد حتى يملا جسم المجتمع الإنساني كله بالخطيئة والفساد ، بالوبال والخراب انها حال فزعتني فزعا لا فزع فوقه ؛ حال حاربت كل حياتي لاتقائها ، وسأحارب لاتقائها ما بقي من أيامي إنا نغفر لهذه المرأة كل خطاياها إلا هذه ، فهى خطيئة في حق الروح القدس إنها إذا لم تتنصل من دعواها ، وإذا هي لم تستنفر منها على الملأ وأنها راغم ، وإذا هي لم تخرج عن كل قيراط من روحها إلى الكنيسة ، اذا هي لم تفعل كل هذا فإلنار مأواها لو وقعت يوما في يدي

ورك : لا يتأثر بالذي قيل أنت شديد التأثر من هذا الأمر بطبيعة الحال

كوشون : ألست كذلك ؟

ورك : أنا رجل حرب لا رجل دين وقد حججت إلى بيت الله القدس ، ورأيت بعضا من أتباع محمد ، لم أجده من سوء الأدب بالمكانة التي أفهمونيها قبلا ، بل وجدت لهم أدبا لا يقل من بعض الوجوه عن أدبنا

كوشون : يستاء مما قيل لقد لاحظت هذا من قبل : أن رجالا يذهبون إلى الشرق لينشروا الكفار ، فلا يلبثون أن ينقلبوا هم كفار إن الجندي الصليبي يعود من الشرق وهو نصف شرقى مسلم أن الإنجليز جميعا زنادقة من يوم يولدون

القس : الإنجليز زنادقة؟ يستغيث بورك مولاي ،كيف نصبر على هذا ؟ إن

مولاي الأسقف ضاع عقله كيف يكون ما يعتقده الإنجليزى زندقة إنه تناقض في اللفظ

كوشون: إني أعفو عنك ياقس بناء على جهالة فيك مطبقة إن جو بلادك الكثيف لا ينشئ الفقهاء

ورك : إنك ما كنت لتقول هذا لو أنك شهدتنا نتجادل في الدين يا مولاي وإنه ليعرونى الأسف أن تظن بي إما الزندقة وإما الغباء ، لا لسبب سوى أني طوفت في البلدان فعرفت فيما عرفت أن أتباع محمد يحترمون المسيح احتراما ظاهرا شديدا ، وهم في تسامحهم أقرب أن يغفروا لبطرس القديس أنه كان سماكا ، من أن تغفر أنت يا مولاى لمحمد أنه كان جمالا كثير يا سيدي أن أطلب منك أن تأخذ على الأقل فيما نحن فيه الآن بغير تعصب وضيق ذهن

كوشون : إن الرجل إذا سمي غيرتي الكنسية وحميتى المسيحية تعصبا فقد تحللت في أمره وظننت فيه الظنون

ورك : إن هما إلا رأيان في شيء واحد ، أحدهما شرقى ،والآخر غربى

كوشون : يتهكم في مرارة شرقى وغربى ليس إلا

ورك :يا مولاي الأسقف، إني لا أناقض ما تقول إن الكنيسة لاشك ستتبعك ، ولكن لابد لك أن يتبعك الأشراف أيضاً ، وفي رأيي أن في الإمكان اتهام الفتاة تهمة هي أشد من التهمة التي شرحتها هذا الشرح القوى إنى أفضى لك بقول صريح : إني لا أخشى أن تنقلب هذه الفتاة محمد ، أو أن تحل محل الكنيسة بسبب زندقة كبرى إنك تبالغ في خطرها ولكن قل لي هل وجدت فيما تبعث

الفتاة به من الكتب إلى ملوك أوروبا أنها تعرض عليهم صفقة سبق أن عرضتها وفرضتها على شارل ، صفقة لو أنها تمت لهدت كيان المجتمع في كل بلد من بلاد المسيح

كوشون : لهدت كيان الكنيسة وهذا ما أقوله لك

ورك : وقد بدأ ينفد صبره مولاي ، أتوسل إليك أن تخرج الكنيسة من رأسك وأن تنساها ساعة من الزمان ، وأن تذكر أنه إلى جانب المؤسسات الروحية الدينية ، توجد مؤسسات زمنية دنيوية إني أنا وأشرافي نمثل الأرستقراطية الإقطاعية بقدر ما تمثل أنت الكنيسة نحن السلطة الزمنية أفلاترى كيف أن الفتاة تضرب في الصميم منا؟

كوشون : لا أدري كيف تضرب في الصميم منكم ، إلا بمقدار ما تضرب في الصميم منا جميعا بضربها الكنيسة

ورك : إنها ترى أن يعطى الملوك ملكهم الله، وأن يحكموا من بعد ذلك في هذا الملك خلفاء لله

كوشون في غير اهتمام : هذا في الفقه صحيح يا مولاي ، ولكن الملوك لا تكاد تهتم لشيء أو تتورع عن أمر ما حكمت إنها فكرة نظرية بحتة ، أسلوب من أساليب الكلام

ورك : لا ، لا ، أبدا إنها حيلة ماكرة مؤداها خلع الأرستقراطية وإحلال الملوك محلها يحكمون مطلقين كما يشاءون فبدل أن يكون الملك الشريف الأول بين أشراف ، يصبح سيدم ومالك أمرهم فهذا لانراه نحن معاشر الأشراف ، ولن

ندعو رجلا سيدا فينا أبدا إننا نتسلم أراضينا ومراتبنا من الملك ، ولكن بالاسم لا في الواقع لأنه لا بد لكل حنية من حجر أوسط تستند إليه ، وتجتمع حجراتها كلها عليه ، والملك الحجر الأوسط للمجتمع الإنساني ولكنا نملك أراضينا بأيدينا ، وتحميها سيوفنا وسيوف مؤاجرينا وتعاليم الفتاة تقضي بأن يأخذ الملك أرضنا ، يأخذ أرضا نحن أصحابها ، فيها الله، والله يعود بعد ذلك فيهبها جميعا للملك كوشون : وهل أنتم تخشون هذا ؟ إنكم أنتم تخلقون الملوك : يورك ، أو لنكستر في انجلترا ، لنكستر أو فلوا بفرنسا ، كلها تحكم على هواكم

ورك : نعم هذا حق ما بين الناس أشرافهم الإقطاعيين ، وما ظل الناس لا يعرفون من ملكهم إلا تلك المظاهر التي طوف بها بينهم حينا بعد حين ، لا يسألهم حقا أو خراجا إلا تلك الطرق السلطانية التي يمتلكها الناس أجمعين أما إذا اتجهت أفكار الناس إلى الملك ، واجتمعت قلوبهم عليه ، وأصبح ورداتهم في أعينهم للملك خداما ، استطاع الملك عندئذ أن يكسرنا على ركبته واحدا واحدا ، فلا يكون منا إلا وفاء في بلاطه، تلبس الكي ونقف في الردهات مستجيبين لدعواته

كوشون : لا أزال أقول إنه لا داعي للخشية يا مولاي ، فمن الناس من يولدون ملوكا ، ومن الناس من يولدون ساسة ، وقل أن يجتمع الملك والسائس في فرد واحد فأين يجد الملك ساسة ناصحين ، يخططون له وينفذون ، إلافيك؟

ورك : يبتسم ابتسامة ليست كلها ودا لملكه يبتسم كوشون ابتسامة مرة كابتسامة صاحبه ، وهو يهز كتفيه ولا يناقضه ورك : اقصموا ظهورالبارونات ، يخل

الجؤ للكردنالات كوشون: يعود للترضى فيخفض من صوته في المناقشة مولاى ،إنا لن نقهر الفتاة إذا نحن تخاصمنا فيما بيننا ، وعملنا على مناوأة بعضنا بعضا إني أعلم كل العلم أن الدنيا بها كلب على السلطان ، وأعلم أنه ما دام هذا فلا مندوحة عن نزاع بين الإمبراطور والبابا ، ونزاع بين الدوقات والساسة من الكردينالات ، ونزاع بين الملوك والبارونات إن الشيطان يفرق بيننا ، ثم مو يحكم من دوننا إني أراك للكنيسة غير صديق ؛ أنت إزل أولا وآخرا ، بمثل ما أنا گئ أولا وآخرا ولكن أفي هذا ما يمنع أن تنسي ما يفرقنا ، وأن نجتمع كلانا على عدو واحد، هو عدو لنا وعدو لك أرى الآن أنه لم يكن في نفسك أن الفتاة لم تذكر الكنيسة وذكرت نفسها والله ، بل كان في نفسك وأمها أن الفتاة لم تذكر الأشراف بل ذكرت نفسها والملك

ورك : نعم هذا ما كان بنفسي لكن الفكرتين إن اختلفتا فرعا ، فقد اتحدتا أصلا وهذا أصل يضرب في الأصول إلى حد بعيد يا مولاي وهذا الأصل هو رفض روح الفرد واحتجاجها أن يتدخل بينها وبين الله شريف أو قس ولو أني شفت له اسما لقلت الرافضية أو البروتستانية

كوشون: يرشقه بنظره إنك تفهمها فهما مدهشا في جودته يا مولاى حُك رأس الإنجليزي ينكشف لك عن بروتستانى

ورك : يقول متصنعا غاية الأدب واللطف لا أظنك تخلو كل الخلو من عطف على الفتاة فيما ابتدعته من زندقة تمس السلطة الزمنية ، فأنا أترك لك أن تجد لها اسما أكثر توفيقا يا مولاى

كوشون : قد أسأت فهما يا مولاي فابي عطف على ما ادعته الفتاة صلفا من دعاوى سياسية ؛ ولكني قست عرف في سبيل مهنته شيئا عن عقول العامة وكيف تعمل وإنك لواجد في هذه المقوله فكرة أخرى غاية في الخطورة ، لا أدري كيف أعبر لك عنها فكرة تجد معناها في قولهم : فرنسا للفرنسيين ، وانجلترا للإنجليز ، وإيطاليا للإيطاليين إنها فكرة توجد في الريف ، يتمسك بها الريفيون في تعصب وضيق ذهن شديد يبلغ أحيانا حد الخصومة المرة بين القرية والقرية من أجل هذا يدهشني أن تستطيع هذه الفتاة القروية أن تسمو عن مبدأ القرية : أن القرية القرويين فإنها حقا تستطيع أن تسمو ، بل هي قد فعلت فهي لما تهدد بطرد الإنجليز من أرض فرنسا تقصد لا شك بذلك كل الأرض التي ينطقون فيها بلسانها فعندها أن جميع من يتكلمون اللغة الفرنسية يؤلفون ما يسميه الإنجيل شعبا أو أمة واحدة فلك أن تسمى هذا الجانب من زندقتها قومية إن شئت ، فأنا لا أستطيع أن أجد لك كلمة خيرا منها ولكني أستطيع أن أؤكد لك أنها فكرة يناقض جوهرها الكاثوليكية ، ويناقض المسيحية ؛ فالكنيسة الكاثوليكية لا تعرف إلا أمة واحدة هي أمة المسيح، وإلا دولة واحدة هي دولة المسيح فإن أنت قسمتها أمما وشعوبا فقد خلعت المسيح وإن أنت خلعت المسيح ، فمن ذا يحول بين السيوف والرقاب ؟ إذن لوقعت الحروب واختلطت ، وحق على الدنيا الفناء

ورك : إذن بان الأمر بيننا ، فاحرق أنت البروتستانيين، أحرق أنا القوميين ولو أن القس چون قد لا يوافقني على هذه الأخيرة ، فانجلترا الإنجليز تجد هوى في قلبه

القس : بالطبع انجلترا للانجليز ، إنها من البداهة بمكان إنها قانون الطبيعة الأبسط ولكن هذه المرأة تجحد انجلترا فتوحاتها الشرعية التي منحها الله إياها لما خصها الله به من القدرة على حكم شعوب دونها مدنية وهي إنما تحكمهم غيرهم إنى لا أفهم يا سيدى ما تعنيان ببروتستانى وقوى ، فعلمك لايدركه قس صغير مثلي ولكني أعلم حقيقة بسيطة واقعة يفهمها كل الناس ، هي أن هذه الفتاة ثائرة خارجة ، وكفى بذلك عندى علما فهي قد ثارت على الطبيعة فلبست ملابس الرجال ، وحاربت كما يحارب الرجال وهي قد ثارت على الكنيسة فاستلبت من البابا سلطته الربانية استلابا وهى قد ثارت على الله لما عاهدت الشيطان ومن اتبعه من أرواح خبيثة على هزيمة جيشنا وهي قد اتخذت من كل هذه الثورات سببا يؤدي بها إلى ثورتها الكبرى ضد انجلترا فهذا لايمكن احتماله ، فأعدموها ، وحرقوها، ولاتدعوها تنال بالوباء سائر القطيع إن من الحكمة قتل امرأة لخلاص الناس

ورك : ينهض مولاي ، يظهر أننا قد اتفقنا

كوشون : ينهض أيضا ولكن في احتجاج إني لن أورد روحى موارد الهلاك إنى سأقضي بما يقضى به عدل الكنيسة ، وسأفرغ جهدي لنجاة هذه المرأة

ورك : إني أعطف على الفتاة المسكينة إنى أكره القسوة ، وسأصرف عنها السوء إن وجدت إلى ذلك سبيلا

القس : وقد بقي على غضبه إني لو استطعت لحرقتها بيدي هاتين

كوشون : يباركه جهالة قسيس ، أو حماقة قديس ، فاغفرها له يارحمن

المنظر الخامس

الممشى في كتدرائية رانس ، بجوار الحجرة التي يغير فيها رجال الكهنوت ثيابهم و بالممشى عمود عليه صورة من آلام المسيح يصلى عندها المصلون والأرغون يعزف حتى يخرج الناس جميعا من محن الكنيسة بعد أن توج الملك وتكون جان عاكفة على صلاتها أمام العمود وهي في لباس فاخر جميل ، ولكنه لباس رجل لا أنثي ثم يخرج نوا من حجرة الثياب إلى الممشي في زى جم جميل أيضا عندئذ يسكت الأرغون

نوا : هيا بنا يا چان ، فقد كفاك صلاة إن البرد لا شك مصيبك إذا أنت لبثت طويلا هنا بعد هذا البكاء الشديد قضى الأمر كله الآن فرغت الكنيسة من الناس ، وامتلأت بهم الشوارع ، وهم يدعون الفتاة أن تظهر فيهم لقد قلنا لهم إنك باقية هنا وحدك للصلاة ، ولكنهم يصرون على أن يروك مرة أخرى

جان : لا: دعوا الملك يقطف ثمر هذا المجد كله

دنوا : عفا الله عنه ، إنه مسكين ضعيف ، وظهوره يفسد هذا المنظر الجميل لا يا چان ، أنت توجبيه ، فلا مندوحة لك عن بلوغ الغاية من ذلك

چان : تهز رأسها في تردد

دنوا : ليرفعها من ركعتها هيا بنا هيا إن كل شيء ينتهى في ساعتين حدثيني ،

أليس هذا خيرا مما وقع على الجسر في أرلين ؟

چان : أي عزيزى دنوا ، كم وددت لو عاد الجسر وعادت ساعة الجسر مرة أخرى فعلى هذا الجسر ذقنا الحياة

دنوا : أي والله ، وعليه ذقنا الموت أيضا - ذاقه بعضنا

چان : إنى أعجب لحالى يا چاك : أجبن كل الجبن وأمتلى بالذعر قبل الواقعة ، حتى إذا خمدت نارها ، وانقشع غبارها ، وتولت عن الدنيا مخاطرها، سلمت نفسي العيش وعفت الحياة

چان : عزيزى چاك، أحسب أنك تحبني كما يحب الجندي رفيقه

دنوا : أنت في حاجة إلى محبتى يا مسكينة ، يا بنت الله ، يا ساذجة فليس لك في البلاط أحباب كثيرون

چان : لا أدري لماذا بغضني بطانة الملك ، وكل هؤلاء الفوارس الأشراف ، ورجال الكنيسة ماذا صنعت لهم ؟ وماذا سألت لنفسي منهم ؟ ما سألت إلا أن تقى قريتي من ضرائب الحرب ، لأننا فقراء لا نطيقها لقد جئتهم بالنصر بعد الهزيمة ، وأطلعت لهم نجم السعد بعد أفوله وقومت أمورهم بعد أن جاءوا من الأعمال بكل منوج سخيف وتوجت شارل فصار ملكا ففرق الألقاب ، فذهبت كلها فيهم فلماذا لا يحبونى ؟

دنوا : يحاول أن يذهب بالقنوط عنها يا بلهاء أتحسبين أن رجالا أغبياء بلداء يحبونك لأنك كشفت الغطاء عن مناقصهم ؟ أيحب ضباط حرب شيوخ خاوون خطاؤون ، ضباط أحداثا موفقين ، حلوا من الجيش حيث كانوا يعلون ؟ أيحب

رجال سياسيون قدماء أمالون ، رجالأ سياسيين محدثين ، نافسوه في مقاعدهم الأولى في البرلمان فنفسوم ؟ والمطارنة ، أتحسبينهم يقفون صامتين راضين مغتبطين إذا خادعهم مخادع عن مذابحهم في كنائسهم ، ولو كانوا أطهار قديسين ؟ ولم تذهب بعيدا ، فهذا أنا ، ما كان أحقني بالغيرة منك لو كنت مطاعا أمالا

چان : إنك يا چاك في هذه السلة كلها خير ما فيها إنك صديقي الأوحد من بين هؤلاء الأشراف جيما إن أمك لا بد قد جاءت من الريف إنى إلى الريف سأعود بعد أخذ باريس

دنوا : لست موقنا إيقانك بأنهم سيأذنون لك في أخذ باريس

چان : مرتاعة كيف تقول؟

دنوا : لقد كنت أخذت باريس أنا نفسي من قبل ، لو كان الكل في أخذها صادقين مخلصين أكبر ظنى أن فئة منهم تجد أحب إلى نفسها أن تأخذك لباريس فاحذرى ، ثم احذري

چان : چاك ، إن الدنيا هذه خبيئة خبثا لا أطيقه فإذا لم يهلكني الإنجليز والبرجندئون ، أهلكني الفرنسيون إنى لولا أصواتي التي أسمع من قلبي وملأه القنوط ومن أجل هذا تسللت خُفية إلى هنا بعد التتويج أهرع بصلاتي إلى الله وحدى أنصت إنى يا چا أخبرك خبرا إني في هذه الأجراس أجراس الكنيسة أسمع أصواتي إني لم أسمعها اليوم لما دقت الأجراس كلها معا ، فما كان هذا الا خبرا صاخبا ولكني أسمع أصوات في العادة هنا في هذه الزاوية إذا دقت

الأجراس جلجلت، وتنزلت أصداؤها على من السماء فلجت وترينت وقد أسمعها في الحقول تأتي من بعيد ، تخترق إلى هواءها المديد ، وهدوءها الصامت الشديد تدق ساعة الكنيسة ربع الساعة يعتريها ذهول أنسمع ؟ عنى تى يا بنت الله بالضبط كما دعوتنى فإذا دقت نصف الساعة قالت الأصداء : سيرى ما فإذا جاءت ثلاثية الأرباع قالت : أنا ولكنها عند تمام الساعة عندما يدق الجرس الأكبر تقول :رنسا ينجي ما الله وعندها تأتي القديسة مرجريت ، وأحيانا القديسة كترينة - حتى المبارك ميخائيل يأتي أحيانا - فيقولون لي أشياء لا أستطيع أن أتنبأ بها وعندها ، أي وعندها

دنوا : يقاطعها بحنو ، ولكنه لا يشاركها شعورها وعندها يا چان يستمع الإنسان في جلجلة الأجراس ما يخال إني أخاف عليك كلما سمعتك تحدثين عن هذه الأصوات ولقد كدت أظن فيك ما من خبل لولا أني أراك تأتيني بملل معقولة مقبولة لكل ما تصنعين ومع هذا أسمعك تقولين لغيري إنك في الذي تصنعينه إنما تطيعين السيدة القديسة كترينة

چان : تقول وهي عض إنى أصطنع لك الملل اصطناعا ، لأنك لا تؤمن بأصواتى ولكن الأصوات تجيئني أولا ، والعلل تجيء بعدها ، فصدق ما بدا لك دنوا : أغضبت يا چان؟ چان : نعم تبتسم لا، لن أغضب منك لوددت أنك ترضعى رضيع من صبية القرية دنوا : لماذا ؟ چان : إذن لاستطعت أن أحضنك وأناجيك ساعة دنوا : فأنت إذن لا يزال بك شيء من أنوثة المرأة

چان : لا لا شيء مطلقا فأنا جندبة محاربة ليس إلا والجنود يحتضنون الأطفال

كلما أمكنت فرصة دنوا : هذا حق يضحك يخرج الملك شارل من حجرة الملابس بعد أن بدل زيه ، ويكون الاهير على يمينه وذو اللحية الزرقاء على يساره عندئذ تتوارى چان في سرعة خلف العمود ، ويبقى دنوا فيقع بين شارل ولاهير

دنوا : ها قد أصبحت يا صاحب الجلالة بعد دهان الزيت ملكا متوجا، فكيف تجد حالك الآن؟

شارل : ما أود أن يعود ما كان ، ولو صرت به إلى عرش الشمس والقمر ألا ما أثقل هاتيك الكي والمحلل لقد وضعوا على رأسي ذلك التاج فكدت أنوء تحته والزيت المقدس الشهير الذي تحدثوا عنه كل هذه الأحاديث ، كان فاسد أف والمطران لا شك أنه مات الآن إعياء ، فمحله لا شك وترت طنا لقد تركته في حجرة الملابس يتعثر فيها

دنوا : في جفاء عليك يا صاحب الجلالة أن تكثر من لبس الدروع ، فعندها تبين عليك الكتي الثقيلة

شارل : نعم هات من تلك الفزات القديمة ولكني لن ألبس الدروع فالحرب ليست شيمى أين الفتاة ؟

چان : تخرج من خلف العمود إلى ما بين شارل وذي اللحية الزرقاء ، ثم تركع على - مولاى قد نصبك ملكا فاكتمل واجبي ، فأنا عائدة إلى حقل أبي

شارل : يندهش ، ولكن يحس كأن أزمة قد تفرجت آها أحقا تذهبين ؟ إذن تحسنين صنعا تهض چان وقد ملأها اليأس

شارل : ينادي غير عالياً إن حياة الحقل حياة فيها الصحة والعافية

چان : ولكن فيها السآمة والوخامة أيضا

ذو اللحية الزرقاء : وتعودين إلى أثواب النساء ، غلائلهن ومجامدهن ، فتعثرين فيها بعد ترك طويل

الامير : وسيشوقك القتال ، وهو عادة قبيحة ، ولكنه متعة كبرى ، وهو في العادات أشدها تأصلا في النفس وأصعبها استئصالا

شارل : يأخذه القلق ومع هذا فنحن لا نود أن نبقيك معنا ، إذا أنت رغبت حقا في الذهاب إلى أبيك

چان : أما أنا على حق العلم أنه ليس فيهم من يأسف على ذهابي تعطي ظهرها لشارل ، وتخطو أمامه ذاهبة إلى المكان الأرحب الأحن : إلى جيرة دنوا ولاهير الامير : أما أنا ، ففي غيبتك أستطيع السبت إذا أردته ولو أني سأفتقدك وأشتاقك أحيانا

چان : لاهير ، أنت برغم ما تقترفه من سبة وخطيئة ستلقاني في الجنة ، فأنا أحبك كي كلي العجوز حارس غنمى پينتو إن پيتو يقتل الذئب لو أراد وأنت تظل تقتل الذئاب الإنجليزية بإذن الله حتى يعودوا إلى بلدهم فيصبحوا كلابا خيرين من كلاب الله أأنت فاعل ؟

الامير : نعم ، إذا كنت معي چان : لن أكون معك فلم يبق لي من العمر إلا عام واحد ، بدأ باشتراكي في هذه الحرب الكل معا : كيف تقولين ؟ چان : أقول ليس لى في الحياة غيرعام هكذا يحس قلبي دنوا : هذا لغو باطل چان : قل لي

يا چاك ، أتستطيع طردهم من أرضنا ؟

دنوا : يقول في هدوء المتمكن المقتنع بالذي يقول نعم سأستطيع طردم إنهم غلبونا لما عدنا الحرب ملعبة ، وميدان الحرب سوقا نكسب فيها الفدى ، ولما اتخذنا الحرب لهواً؟ واتخذوها جداً ولكني أفدت من درسى ، وتعلمت من تجاربي ودعت القوم وبرهم ، فعلمت أنهم شجرات لا تضرب أصولها في الأرض بعيداً لقد هزمهم من قبل ، وإنى لقمين أن أهزمهم مرة أخرى چان : ولا تكن قاسياً عليهم يا چاك

دوا : إنهم لن يلينوا في اليد الناعمة وهذا شرهم بدأوه والبادي أظلم

چان : ابنتة چاك هيا بنا نأخذ باريس قبل أن أعود إلى أبي

شارل : وقد عر لا لا إننا إن فعلنا ، خسرنا ما كسبنا فدعوا القتال ، ففي مقدورنا الآن أن نحظى من دوق برجندى بمعاهدة طيبة جداً

چان : معاهدة تضرب الأرض بقدمها

شارل : نعم ولم لا؟ وقد صرت الآن ملكاً مرسوماً ؟ أف من هذا الزيت

يخرج المطران من حجرة الملابس إلى الجماعة ، فيقف بين شارل وذي اللحية الزرقاء

شارل : أيها المطران ، إن الفتاة تريد أن تبدأ القتال من جديد

المطران : وهل سكتنا عن القتال ؟ هل نحن الآن في سلام ؟

شارل : لا أظن لا ولكن حسبنا ما فعلنا ، فعلينا الآن

مارا بالمعاهدة ، والحظ معنا ، فهو حظ جميل جداً لا أحسبه يدوم طويلاً ، فقفوا القتال قبل أن يتبدل چان : حظ إن الله حارب دوننا أفتسمى هذا حظا وتوقف القتال ولا يزال الإنجليز على هذه الأرض المقدسة ، أرض فرنسا الغالية ؟

المطران : في قوة وجفاء يا فتاة إن الملك توجه بخطابه إلى لا إليك إنك تنسين مقدار نفسك فتتركين لها العنان فتجمعين إنك تنسين فتجمعين كثيرا

چان : لا تخجل ، وترد في شيء من الخشونة إذن فتكلم أنت وقل إن الله لا يرى له أن يرفع يده عن المحراث

المطران : إن لسانك ذلق باسم الله ترددينه في كل آن فإن لم تكن بلساني مثل هذه الذلاقة ، فذلك لأني إذا نطقت بمشيئة الله فإنما أنطق بها بلسان الكنيسة وما لها من سلطان ، وباسم منصبي وما له من قداسة إنك كنت تحترمين سلطان الكنيسة وسلطان هذا المنصب لما جئنا أولاً عندئذ لم تكوني تجرئين على الحديث بمثل ما تتحدثين وعندها كنت تحلين فضيلة التواضع الجميل ولكن لا كافأ الله عليها بالتوفيق دخل التعجب نفسك وهو بئس الخطيئة إنها المأساة الإغريقية القديمة تعود فتتمثل فينا إنه الغرور ينحدر بصاحبه إلى عاقبته المحتومة

شارل : نعم إنها تخال أنها تعلم خير ما يعلم الناس جميعاً

چان : تضيق نفسا ولكنها في سذاجتها لا تدرك أثر ما تقوله في الناس ، ولكني أعلم خيرا مما يتراءى لي أنكم تعلمون إنى لا أنطق عن عجب إني لا أنطق إلا أن أقول حقا

ذو اللحية الزرقاء وشارل : يصيحان معا ها ها بالطبع بالطبع

المطران : وما أدراك أنه الحق؟ چان : أنا دائما أدرى إن أصواتى
شارل : أصواتك، أصواتك، دائما أبدا لا تجيني هذه الأصوات ، وأنا لا أنت الملك ؟

چان : إنها تجيئك أيضاً ، ولكنك لا تسمعها إنك لا تجلس أبدا في الحقول في المساء تتسمع لها وإذا دقت الأجراس تؤذن بالصلاة فأنت تصلب على نفسك وتكتفي أما لو أنك صليت من قلبك ، وأصغيت لجلجلة الأجراس بعد سكونها، لسمعتها كما أسمعها تشيح عنه بغلظة ولكن ما حاجتك إلى أصوات تقول لك ما يستطيع الحداد أن يقوله : إضرب والحديدة حامية ؟ إنى أقول لك لا بد من هجمة على كمپين تخلص بها لنا كما خلصت أزلين عندها تفتح باريس لنا أبوابها،فإن هي لم تفتح مرقنا مروق السهم فيها ما غناء تاج من غير عاصمة ؟

الأمير : هذا رأيي وسنمرق من أبوابها مروق الرصاصة الساخنة في رطل من زبدة باردة فماذا ترى يا ابن الفاعلة

دنوا : لو كانت قنابلنا في سخونة رأسك ، وكان لدينا العدد الوفير منها ، لم يبق موضع في الأرض إلا فتحناه إن الشجاعة والعنف خصلتان جميلتان يخدمان الإنسان في الحرب ما ملكهما ، فإن هما تملكاه ضيعاه ولقد ضيعانا وأوقعانا في يد الإنجليز فلا تركن إليهما إن عيبنا الأكبر هو أنا لا ندرك الهزيمة أبدا إذا هزمنا

چان : بل أنتم لا تدركون النصر أبدا إذا ما انتصرتم، وهذا عيب شر وأفضح لكأني والله بكم ، وقد شرك في الحرب مرايا تؤكد لكم أن المدؤم يجدع بعد كل

أنوفكم إني لولا حملي إياكم على الهجوم لكنتم الآن لا تزالون محصورين في أزلين أنتم ومجالس حربي احملوا يا قوم دائماً ، وهاجموا داعا ، وصابروا العدو فهو لاشك نافذ صبره إنكم لا تعرفون كيف تبدأون الواقعة ، ولاتحسنون ضرب المدافع وأنا أعرف هذا وهذا تقول هذا وتجلس ، متربعة على بلاط الأرض ، عبوسة الوجه ممدودة الشفتين غضبى

دنوا : لعله رأيك فينا ، يا چنرال چان چان : بل قل لهم ما رأيك في يا چاك

دنوا : رأيي أن الله أمانك يا چان ، فلست بناس كيف تغيرت الريح ، ولا كيف تغيرت بك قلوبنا ، وحق إيماني لن أنكر أنا ما انتصرنا تحت لوائك ولكني أقولها لك قولة جندي : إن الله ليس بالعبد المملوك لأي مخلوق ، رجلا كان أو امرأة ، فتنتظر منه الخدمة في كل آن إن الذي يصنعه الله لك أن ينتشلك أحيانا من بين ترانين الموت إن كنت أهلا لذلك فإذا هو أقالك من عثرتك ، ووقفك على قدمك ، تركك لنفسك ، وعندها يجب عليك القتال بكل ما فيك من حول وكل ما فيك من دماء واذكري أن الله لا بد له أن يرعي الأعداء كما يرعانا على السواء ، وقد أقال الله عثرتنا ووقفنا على أرجلنا في أزلين وقد جاءنا النصر فيها والنصر إذا وقع لاتنقطع أسبابه وشيكا ، فبقوة النصر الأول كسبنا نصرة فنصرة في ملاحم عدة تناهت بتتويج الملك فإذا نحن ركنا بعد ذلك إلى المجد الذي كسبنا ، واتكلنا على الله أن يصنع لنا ما يجب أن نصنعه لأنفسنا ، فقد حقت علينا الهزيمة جزاء وفاقا چان : ولكن

دنوا : صه فإني لم أفرغ فلا يظن أحدكم أن الذي سيب من نصر گيب من غير

قيادة وإحسان إمرة شارل أيها الملك إنك لم تشر في خطبة التتويج إلى نصيبي من هذه الحروب ، ولا أشكو من هذا ، فالناس تجرى وراء الفتاة وما أتت من معجزات ، لا وراء ابن الفاعلة وما عانى لها في جمع الجيوش وإطعامهم ولكني أعلم بالدقة كم صنع الله لنا على يد الفتاة ، وكم ترك ليتحقق على يدي بفطنتي وحيلتي إنى أنذركم أن ساعة الكرامات فاتت ، وشمس المعجزات أفلت ، وأن النصر لن يكون إلا لأكثر المتحاربين فطنة وأبرعهما حيلة ، لو كان الحظ في جانبه

چان : اه لو لو لو ما أكثر لوتاتكم وما أقل عناءها وتنهض بغتة في عنف إني أقول لك يابن الفاعلة إنه لا نفع الفتك في الحرب ، لأن فرسانك ورجالك لا يشنون شيئا في الحرب الصادقة فالحرب عنده أمنية كالتنس وسائر اللعب وهم يصنعون لها كااللعبات قواعد وقوانين ، فهذا يجوز وهذا لا يجوز ، وهذا يحق ، وهذا يبطل وهم يهيلون الدروع على أنفسهم، وعلى خيولهم المسكينة ، ليتقوا بها السهام ، فإن هم وقعوا تحت ثقلها عليهم القيام ، فيظلون مكانهم حتى يأتي سيدهم يدفع الفدية عنهم الرجل التي وگرم فأطاحهم من فوق سروجهم ألا تدركون أن وقت هذا مضى وانقضى ؟ ما نفع الدروع لقاء البارود ؟ وإن كانت تنفع ، فهل تحسبون أن رجالا يقاتلون عن فرنسا، ويحاربون في سبيل الله ، يكفون عن القتال ورحى الحرب قائمة ليساوموا في الفداء فهكذا يصنع النصف من رجالكم ، ومن هذا يرتزقون لا لا، إن الواجب أن يحاربوا ليغلبوا ، وإن هم دخلوا الميدان دخلوه بعد أن يخرجوا مثلى عن أرواحهم في سبيل الله إن عامة

الناس وطعامهم يفقهون هذا إنهم فقراء لا يستطيعون شراء الدروع ولا يطيقون دفع الفدى ، ولكنهم يتبعونى ،عرايا أو يكادون ، في خندق الماء، فإلى الستر ، فإلى الحائط ، فمن فوقه عندهم : حياتي أو حياتك يا عدو الله ، والله ينصر الحق من بعد ذاك هز رأسك ما شئت يا چاك وأنت ياذا اللحية الزرقاء افتل لحيتك إخية الجذي مالا لك ، وتتطاول بأنفك عني توقحا ما بدالك ، ولكن تذكروا جميعا يوم أردت أن أحمل على الإنجليز في أزلين ، فرفضت فرسانكم وقوادكم أن يتبعوني ، فعندما غلقت الأبواب دوني لتمنعوني ، كان الذي اتبعنى أهل المدينة وكفاهم العامة ، فهجموا على الحصون وكبسوا الأبواب فولجوها ، فعلموكم كيف يكون القتال

ذو اللحية الزرقاء : وقد أبي أما كفا أن تكوني الباب يا چان ، فتريدين أن تكوني قيصر والإسكندر أيضا

المطران : إن المعجب بنفسه لا يأمن الزلل يا چان وفي العجب التردى

چان : لا تحتفل بالذي بي ، حبا كان أو غير محجب ، ولكن قل لي أحق ما أقول ؟ أمنطق بسيط كمنطق الخلق ما أحكي ؟

الامير : نعم إنه الحق إن نصفنا يخشى أن يجدع أنفه الجميل والنصف الآخر كلمه الفدى ليفك الرهون وما عليه من ديون خلها تفعل ما تريد يا دنوا إنها لا تعلم كل شيء ولكنها في هذا الأمر تعرف ما تأخذ منه وما تدع إن القتال اليوم غيره بالأمس ، وقد يكون أقل الناس به علما أكثرهم فيه إحسانا

دنوا : أنا أعلم كل هذا ، ولست أقاتل على الأسلوب القديم لقد تعلمت من درسي

في أجنكور وبواتييه وكريسى فكل حركة آتيها أقدر لها عدد الأنفس التي تضيع فيها ، فإن كان الثمن عدلا لها دفعته فيها أما چان فلا تقدر لحركاتها أبدا ، وإنما تسير قدما وتعتمد على الله كأن الله شيء في جيبها ، فهو لا يستطيع الخروج على أمرها وإلى الآن كان العدد العديد إلى جانبها فربحت القتال ولكني أعرف چان ، وأتوقع أنها ستسير يوما إلى القتال في عشرة رجال لتقوم بما يقوم به المائة ،وعندها ستعلم أن الله قد فارقها إلى حيث توجد الفرق الكبيرة ، والأعداد الكثيرة ، وعندها تقع في الأسر ، يأسرها رجل مبخت محظوظ يتقاضى على فعلته ستة عشر ألفا من الجنيهات يدفعها إياه الإرل ورك

چان : يداخلها العجب والسرور ستة عشر ألفا أعرضوا كل هذه الآلاف لأسرى ؟ أفي الدنيا كل هذا المال ؟

دنوا : نعم ، في انجلترا والآن حدثوني جميعا : من منكم يرفع عند ذاك إصبعا لخلاص چان من الإنجليز إذا هم أسروها ؟ وقبل أن تجيبوا دعوني أجيبكم نيابة عن الجيش في اليوم الذي فيه يمسك بها ويشدها عن جوادها انجليزي أو برجندى ثم لا يصعق صعقا ، في اليوم الذي تلقى فيه في غيابة الجب فلا يبعث لها بطرس الرسول ملكا يفتح لها أبوابه ويطير مزاليجه وقضبانه بمسة من يده ، في اليوم الذي يتبين فيه للعدو أنها كمثلى تماما ثلب و تقهر ، في هذا اليوم لن تساوى حياتها لدى الجيش حياة جندي واحد، ولن أخاطر لخلاصها بحياة هذا الجندي الواحد، برغم مابي من ضن بصحبتها وإعزاز لزمالتها في القتال

چان : إني لا ألومك على ما تقول يا چاك ، فأنت إنما تقول الحق نعم لن تعدل

حياتي حياة جندي واحد إذا خذلني الله ولكن عندها قد ترى بلادى جديرة بالفداء بعد الذي صنعه الله لها على يدى

شارل : اعلمي أنه لا مال عندي ، فهذا التتويج الذي جنيت به على قد بذلت فيه آخر درهم أمكنني اقتراضه

چان : إن الكنيسة أغنى منك ، فعلى الكنيسة اعتمادى

المطران : أيتها المرأة : إنهم عندها يسحبونك في الطرقات ثم يحرقونك حرق الساحرات

چان : تجرى إليه أى مولاى ، لا تقل هذا إن هذا محال أنا ساحرة ؟

المطران : إن بطرس كوشون قدير في صناعته ، جدير بوظيفته لقد قالت امرأة إنك أحسنت فيما أتيت ، وإنك أتممت مشيئة الله في الذي فعلت، فأحرقتها جامعة باريس بما قالت

چان : مرتبكة متحيرة ولكن هذا ؟ وكيف يعقل هذا؟ إن ما فعلت كان بمشيئة الله ، فكيف يحرقون امرأة تقول الحق ؟ المطران : إنهم أحرقوها

چان : ولكنك تعلم أنها قالت حقا، فأنت لن تدعهم يحرقونى المطران : كيف السبيل إلى منعهم؟ چان : تتكلم باسم الكنيسة ، فأنت عين جليل من أعيانها فإن أنت حميتني وباركتني فلن ينالني في الدنيا أذى أينما ذهبت

المطران : لا أبارك لك وأنت على عجبك وعصيانك

چان : أواه لماذا تظل تؤلمني بهذا القول أنا لست معجبة بنفسي ، ولست عاصية أنا بنت فقيرة جاهلة ، لا أعرف الألف من الباء ، فكيف أكون بنفسي معجبة وكيف تقول إني عاصية ، وأنا دائما أطيع ما أسمع من أصواتي لأنها

تجئ من الله

المطران : إن صوت الله في الأرض هو صوت الكنيسة ، أما ما تسمعين من أصوات في أصداء لفكرك وعنادك   چان : هذا غير صحيح المطران : يحمر غضبا تقولين لمطران كتدرائية إنه يكذب ثم تقولين بعد ذلك إنك غير معجبة ولا عاصية

چان : أنا لم أقل أبدا إنك كذبت ، بل أنت الذي قلت ما يكاد يكون معناه أن أصواتى كذبت فتى كذبت أصواتي ؟ وإن أنت لم تؤمن بها ، وحتى إن هي لم تكن إلا أصداء لفكرى البسيط ومنطقى الساذج ، فهل هي أخطأت يوما ؟ و نصانحكم ، ومأتاها من الأرض ، هل هي أصابت يوما ؟

المطران : في غضب مضيعة للوقت إنذارك وتحذيرك

شارل : إنها تدور ، ثم تعود دائما إلى الشيء الواحد : أنها دائما مصيبة وغيرها مخطى

المطران : أنصتي إلى هذا ، فهو آخر اثر إنك إن حق عليك الهلاك لاستمساكك بآراء نفسك دون آراء أوليائك الروحانيين ، فسوف تتبرأ منك الكنيسة ، وسوف تدعك لما يجره عليك كبرياؤك وادعاؤك من بلاء وقد قال لك ابن الفاعلة إنك إن ألححت فاستمسكت في القتال بآراء يمليها عليك الغرور دون آراء نصحائك ورؤسائك في الجيش

دنوا : يتدخل بل دعني أعبر أنا عن مرادى بالدقة إنك يا جان إن حاولت فك الحصار عن حامية كپين بعدد من الرجال دون العدد الأوفر الذي كان معك في

أزلين

المطران : إذن لتبرأ منك الجيش ولقد عن خلاصك وقد قال لك جلالة الملك أن ليس لديه المال لفدائك شارل : ولا قرش واحد

المطران : فأنت الآن وحدك ، فلا نصير ولا معين أنت في الدنيا في وحدة موحشة ، أوحدك ارتكانك إلى غرورك ، وإلى جهلك ، وإلى غطرستك وعنادك ، وأنك سترت كل هذه الخطايا بستار التقوى في الله فزدت بذلك بعدا عن تقوى الله إنك ستخرجين الآن من هذه الأبواب إلى ضوء الشمس ، وعندها تتلقاك الجماهير الحاشدة بالهتافات الصارخة وسيأتونك بالمرضى منهم والأطفال لتشفيهم ولتباركيهم وسيقبل التجار المساكين يديك ورجليك ، ويفعلون كل ما يطيقون ليزيدوا رأسك اختلالا، ويعطوا نفسك ثقة هي جائحة بك لا محالة فتذكري ، وأنت في وسط هذه الجماهير ، أنك وحيدة كوحدتك هنا فهذا الحلم العمر من الناس

چان : ترفع بصرها مشيرة إلى السماء لى هنالك أصدقاء ، ولى هنالك أولياء نصحاء خير منك يا هؤلاء

المطران : عبثا أتحدث إلى قلب مغلق وأن دماء إنك ترفضين حمايتنا ، وتعملين جاهدة على كسب خصومتنا ، فن الآن قادفى أنت بنفسك عن نفسك ، فإن أخفقت فعليك رحمة الله

دنوا : إن الحق ما قيل يا چان فاتبعيه

چان : لو أني اتبعت مثل هذا الحق بالأمس ، فإلى أي حال كنتم تصيرون إنكم

لا عون فيكم ولا نصيحة نعم أنا في هذه الدنيا وحيدة وقد كنت فيها أبدا وحيدة تركت أبي لاسوف بلادي ، فطلب إلى إخوتي أن يغرقوني في البحر إذا لم أطعه فأرعى غنمه ، بينما فرنسا تجرى دماؤها على الأرض وحسبت أني أرى شراء خلصاء لبلادي في بلاط ملكها ، فلم أجد إلا ذابابا يتنازعون على قطع من أشلاء وطن ممزق وحسبت أن لله أحبابا في كل مكان ، لأن الله محب لكل إنسان واعتقدت في سذاجتي أني سأجد فيكم قلاعا رواسخ تدفع الأذى عنى ، فإذا بي أجدكم تخلعوني خلع النعال البالية ولكن الآن قد تكشفت لى حقيقتكم فعرفتها عيانا ، ورأيت الحق في أمركم عريانا ، ولن يكسب أحد من معرفة الحق خسرانا وتهددونى بوحدتي ، وما بي والله ذعر منها إن فرنسا وحيدة وإن رثائي الوحيد فما وحدتي إلى جانب وحدة قوى ووحدة الله رئى لقد تعلمت الآن أن وحدة الله هي سر قوته ألا ما كان حال الله لو أنه أصغى لنصائح منكم حقيرة ، تصدر عن قلوب مريضة غيورة ، قوة الله في وحدته، وكذلك قوتى ستكون في وحدتى بجوار الله ، فلن تخوننى صداقته ، ولن تعوزنى محبته، ولن تخذلني نصيحته وسأستمد ممددا من مده ، فأقتحم المهالك ، وأركب الأخطار حتى أموت والآن أخرج إلى الشعب ، إلى عامة الناس ودهمائهم ، فلعل الحب الذي أجده في عيونهم يفرج عنى

البغضاء التي أجدها في عيونكم إنكم ستفرحون جميعا لحرقى ، ولكني إن سرت إلى النار ، فإنما أسير عبرها إلى الخلود في قلوب الناس ، ففي هذه القلوب سأحيى أبد الآباد والآن تداركني بلطفك يا رحمن تخرج عنهم ، فيمعنون النظر وراءها برهة في سكون كئيب ، ثم يأخذ ذو اللحية الزرقاء في فتل لحيته

ذو اللحية الزرقاء : إن المرأة لا تطاق أنا في الواقع لا أبغضها ، ولكن ما الحيلة في هذا الطبع الغريب ؟

دنوا : أشهد الله لو أنها سقطت في اللوار لقفزت وراءها في كامل سلاحي أنقذها من الماء ، ولكنها إن فعلت في كمپين فتلة المجانين ، فأخذها العدو ، فإنى لتاركها للأقدار تفعل بها ما تشاء

الامير : إذن فقيدوني إن أردتم أن تمنعوني ، فإني أحس أني تابعها ، ولو إلى جهنم ، ألا سمعتها تتحدث بهذه القوة وهذه الحرارة

المطران : إنها كذلك تمكرعلى بصيرتي وتزعزع حكمى إنها تنفجر انفجارات قوية تحمل الخطر في قوتها إن الحفرة فاغرة فاها عند قدمها ، وستتردى فيها ، ولن نستطيع منعها ولسنا ندرى أخير هذا أم شر يكون ؟

شارل : لو أنها حبست لسانها أو قعدت في بيتها يخرجون وراءها مغمومين كئيبين

المنظر السادس

في مدينة روان ، في الثلاثين من مايو عام ١٩٣١ ردهة كبرى من الحجر في القلعة ، وقد بت لمحاكمة في محكمة بغير محلفين المحكة محكمة الأسقف يشترك فيها ديوان التحقيق :لهذا وضع في المكان كرسيان رفعا على منصة جنبا إلى جنب ، أحدهما للاسقف والآخرلمندوب الديوان ، وهما القاضيان في هذه المحاكمة ووضع على جانبيهما طائفتان من الكراسى ، قت على خطوط تشع من مركز القاضيين بحيث تصنع يمنى الطائفتين مع يسراها زاوية منفرجة فهذه الكراسي للقساوسة ودكاترة القانون واللاهوت والرهبان الدومينيكيين ، وهؤلاء جميعها خبراء ينصحون المحكمة كل في اختصاصه وفي قلب الزاوية المنفرجة منضدة للكتاب ومقاعد لهم غير ذات ظهور وكذلك كرسى غير ذى ظهر مصنوع من خشب خشن المظهر ثقيل ، فهذا للمتهمة وكل هذا في الطرف الداخلي من الردهة أما الطرف الخارجي منها فينفتح على صحن القلعة والمحكمة محفوظة من تقلبات الجو حجب وستائر والناظر إلى الردهة من أوسط طرفها الداخلي يجد كراسي القضاء والكتاب إلى يمينه ، وكرسي المتهمة إلى يساره ويجد إلى يمينه ويساره أبوابا معطوفة الأعالى هذا عن المكان أما عن الزمان فالوقت صباح ضاح من صباح مايويدخل ورك ، يتبعه وصيفه ، من الباب المعطوف أعلاه بجوار منصة القضاء

الوصيف : في قحة أظنك يا صاحب السعادة تدرك أنه لا وجه لنا في البقاء هنا

، فهذه المحكمة محكمة إكليرية ، أما نحن فقوة التنفيذ المدنية

ورك : أنا مدرك ذلك ، فهل تتفضل يا صاحب الوقاحة فتبحث لي عن أسقف بوفيه ، وتهمه بالتلميح أنه إن شاء استطاع أن يتحدث إلى هنا قبل أن تبدأ المحاكمة الوصيف : وهو ذاهب نعم يا مولاي اللورد ورك : وانظر ما أنت صانع ، فلا تناده بصاحب القداسة ولا رب التقي

الوصيف : لا يا مولاي اللورد ولكني سأتلطف به وأرعاه ، فرب الثقى والقداسة سيأكل ملء فيه من الفلفل الحار عندما تدخل الفتاة إلى المحكمة يدخل كوشون من نفس الباب الذي دخل منه ورك، ومعه راهب دومينيكى ، وكاهن يحمل أوراق القضية

الوصيف : صاحب النيافة الأكبر مولاي أسقف بوفيه ، واثنان آخران من أصحاب النيافة

ورك : اخرج واخفر الباب فلن يدخل علينا أحد فيقطع علينا ما نحن فيه

الوصيف : نعم يا مولاي يخرج خفيفا مرحا

كوشون : تمت صباحا يا مولاي

ورك : ونعمت صباحا يا مولاي هل سبق أني حيت بلقاء إخوانك من قبل ؟ لا أظن ذلك

كوشون : يعرفه بالراهب ، وهو على يمينه هذا يا مولاي الأخ چون لايثر ، من الدومينيكيين ، وهو ينوب عن المحقق الأعظم في أمور البدع وشرورها بفرنسا وهذا هو إرل ورك يا أخي چون

ورك : نيافتكم على الرحب والسعة في انجلترا بلادنا لايوجد عندنا مع الأسف محقق كما يوجد لديك، وكثيرا ما نفتقده، الاسيا في ملابسات كهذه يبتسم المحقق في بطء وهدوء وينحنى احتراما وهو رجل مسن ، ولكن به بقية ظاهرة من السلطة والصلابة كوشون : يعرف بالراهب وهو على يساره وهذا السيد هو الكاهن چون دستيقيه عضو مجلس أسقفية بائى ، وهو قائم فينا بعمل المدعي

ورك : المدعى ؟ كوشون: نعم هو النائب على ما تسمونه في القانون المدني

ورك : أي نعم نائب نائب لى السرور الكثير بالتعرف بك يا كاهن دستيفيه دستينيه ينحني له وهو رجل يتجه بسنه إلى ذروة الكهولة ، لطيف الأدب ، ولكن من تحت ديباجته الناعمة مكر الثعالب

ورك : هل لى أن أتساءل إلى أي حد بلغت الإجراءات ؟ إنه قد مضى الآن تسعة أشهر منذ أسر البرجنديون الفتاة في گيين ، ومضى أربعة أشهر كاملة منذ ابنتها منهم بمبلغ جم من المال ، لا لغرض سوى أن يقف فيها المدك ما يقفى ومضى ما يقرب من ثلاثة أشهر من يوم أن أسلمتها إليك ياسيدي الأسقف تسليم امرأة متهمة بالزندقة فهل لي أن أعرض عليكم فكرة لي خاطرة : إنكم تقضون زمنا طويلا غير معقول في تلمس الحكم في قضية يسيرة واضحة ؛ أما لهذه المحاكمة من آخر ؟ قاضي التحقيق : (مبتسما إنها لم تبدأ بعد أيها اللورد ورك : لم تبدأ بعد ! كيف، وأنتم تعملون فيها من أحد عشر أسبوعا ؟

كوشون: لقد واصلنا العمل فيها أيها اللورد فعقدنا التحقيق مع الفتاة خمس

عشرة جلسة : ستاً منها علنية، وتسعة سرية

قاضي التحقيق : وهو صابر مبتسم دائما اعلم يا مولاي أني لم أحضر غير جلستين من هذه الجلسات فهي جلسات كانت من إجراءات محكمة الأسقف لا ديوان التحقيق وقد قضيت قريبا فقط بضرورة تدخلى فيها ، أي تدخل ديوان التحقيق فيها جنبا إلى جنب مع محكمة الأسقف ذلك أني في بادئ الأمر لم أكن أحسب أن القضية قضية زندقة أبدا ، بل عدوها قضية سياسية ، واعتبرت الفتاة أسيرة حرب ولكن بعد حضورى جلستين من جلسات التحقيق لم يعد بد من اعترافي بأنها قضية من أخطر قضايا الزندقة التي عرفتها في حياتي والسبيل الآن ممهدة كل التمهيد ، وسنبدأ بالمحاكمة هذا الصباح يسير نحو منصة القضاء وكشون : نعم في هذه اللحظة إذا لم يكن لديك مانع أيها اللورد

ورك : في لطف هذه أخبار طيبة يا سيداى ولكني لن أحاول أن أخفي عنكم أن قوس الصبر لدينا كاد ينقطع

كوشون: لقد عرفت هذا عندما سمعت جنودكم يهددون بالإغراق كل من يعطف على الفتاة من أهل بلادنا

ورك : يا للخبر أبهذا القدر يتهددونهما وعلى كل حال فهم لايضمرون لك أنت إلا الود يا مولاى

كوشون : في شدة أرجو أن لايضمروا لي ودا ، فإني عازم أن أقضى بالعدل في أمر هذه الفتاة إن عدل الكنيسة إلا سخرية فيه يامولاي

المحقق : وهو يعود إلا أذكر يا مولاي أن تحقيقا أعدل من هذا وقع في حياتي

إن الفتاة في غنى عن محامين يدافعون عنها ، فالذين يحاكمونها أخلص الناس صداقة لها ، وهم جميعا يرجون أحرز الرجاء أن تنجو بروحها من هلاك مقيم دستيقيه : سيدى ، إني أنا المدعي ، فكان من واجباتي الألية أن أقوم بعرض الدعوى ضد الفتاة ، ولكن صدقني لقد والله وددت أن ألقي بالتهمة جانبا وأهرع إلى جانب الفتاة أدفع عنها وأحميها ، لو على أن رجالا أكثر مني علما وأرفع درجات في التقى والفصاحة والإغراء قد ذهبوا إليها محاجونها، ويجادلونها، ويبصرونها بالخطر الذي هي مقبلة عليه ، وبالطريق السهلة التي تسلكها لاجتنابه ينفجر بغتة في فصاحة طابية يستاء منها كوشون والمحقق أشد استياء ، وكانا قد بقيا إلى عندئذ ينصتان إلى ما يقول في موافقة رضية ورعاية أبوية لقد تجرأ قوم فقالوا إننا صدر فيه نعمل عن كراهة وبغض ولكن الله شهيد إنهم لكاذبون فليسائلوا أنفسهم : أعذبناها ؟ كلا وليسائلوا أنفسهم : هل انقطعنا أبدا عن أن نترجاها ونستعطفها ونتوسل إليها أن تأخذها الرحمة بنفسها فتعود إلى كنف الكنيسة عودة فتاة ضالة إلى كنف أم تحبها ؟ هل نحن كوشون : يقاطعه في جفاء تبشر أيها الكاهن في الذي تقول إن ما تقول حق كله ، ولكنك إن أنت نجحت فأقنعت اللورد به ، فلست بضامن لك الحياة ، ولا لنفسي

ورك : يخالف كوشون فيما يخشى ، ولكنه أبعد ما يكون عن إنكاره مهلا، هلا ، يامولاي إنكم قساة جدا علينا نحن الإنجليز المساكين ومع هذا فلا شك أننا لا نشارككم رغبتكم في تخليص الفتاة ، وهي رغبة لا شك مصدرها الورع

والتقوى آسف لها، ولكني لا أجد مندوحة عنها فإذا أطلقت الكنيسة سراحها

كوشون : يخرج عن طوقه فيتهدد في شراسة وزهو إذا أطلقت الكنيسة سراحها ، فالويل كل الويل لمن يضع عليها إصبعا، ولو كان الإمبراطور نفسه رب هذا الإصبع إن الكنيسة أيها اللورد لا تخضع للضرورات السياسية

المحقق : يتدخل بينهما في نعومة لا يقلق بالك على النتيجة أيها اللورد ، فإن لك في هذا الأمر حليفا لا يغلب ، يصر على أن تخرق الفتاة أشد من إصرارك

ورك : هذا حليف نحن في شديد الحاجة إليه ، فمن يكون؟

المحقق : الفتاة نفسها ، فإنك إن لم تهنها بقطنة ، فستفتحه ، وكل مرة تفتحه تثبت التهمة على نفسها عشرات المرات

دستيفيه : هذا حق أيها اللورد إن شعري يستقيم على رأسي كلما سمعت فتاة في هذا السن تنطق بكل هذا الكفر

ورك : على كل حال قوموا لها بكل ما تستطيعون من معونة مادمتم توقنون أنها غير نافعة يحد النظر في كوشون إني لغروني الأسف إذا أنا اضطررت إلى العمل بغير رضاء الكنيسة

كوشون **:** يخلط ، في تهكم، بين إعجاب باللورد واحتقار له أفبعد هذا يقولون إن الإنجليز منافقون ؟ إنك أيها اللورد تعمل الحزبك حتى ما فيه ملاك نفسك فأنا أمام هذا الإخلاص لا أمتلك إلا الإعجاب ولو أني أنا لا أستطيع أن أذهب بنفسي إلى الحد الذي ذهبت إليه ، فإني أخاف عليها اللعنة

ورك : إننا إن خفنا شيئا لم نستطع أن نحكم انجلترا يا مولاي

والآن هل آذن لأهل بلدك أن يدخلوا إليك

كوشون : نعم تحسن صنعا أن تخرج لتستطيع المحكمة أن تنعقد

يدور ورك على عقبيه ويخرج عن طريق الصحن، و يأخذ كوشون مجلسه على أحد كرسي القضاء ، ويجلس دستيثيه إلى منضدة الكتاب يفحص ملخص الدعوي

كوشون : يقول عفوآ وهو يتطامن في مجلسه هؤلاء الأشراف من الإنجليز أوغاد أن أوغاد

المحقق : وهو يأخذ مجلسه على كرسي القضاء الثاني ، إلى يسار كوشون إن السلطة الزمنية تجعل من الرجال أوغادا فهم غير متدربين على واجباتهم ، يسرع خبراء الأسقف بالدخول إلى الردهة ، وعلى رأسهم القس دى اشومبر ، والراهب دى گور سل ، وهو قسيس شاب في الثلاثين من عمره ويجلس الكتاب إلى المنضدة ، ويتركون كرسيا خاليا في قبالة دستيقيه ويجلس بعض الخبراء ،ويظل بعضهم واقفين يتحدثون ينتظرون افتتاح الجلسة افتتاحا رسميا ويظهر الغضب والعناد على القس دى اوجبر ، فهو من أجل هذا لا يأخذ مجلسه وكذلك الراهب لا يريد أن يجلس فيقف إلى يمينه

كوشون : صباح الخير ياسيد دى استوجبر يخاطب المحقق هذا قسيس كردنال انجلترا القس : يصحح ما قيل كردنتال ونشستر يا مولاي إن nلدي احتجاجا أريد أن أتقدم به يا مولاي كوشون : لقد تقدمت بالكثير من أمثاله

القس : أنا في احتجاجي لي زميل يا مولاي هذا السيد

دى گور سل يشركني في احتجاجى كوشون : على كل حال ماذا عندك ؟

القس : معا تكلم أنت ياسيد دى كورسل، إذ يلوح إلى أن نيافته لا يطمئن إلى قولى يجلس في حنق إلى يمين كوشون كورسل : مولاي ، لقد جهدنا جهدا كبيرا فاستخلصنا أربعة وستين خطيئة يدور عليها اتهام الفتاة والآن علمنا أنها خفضت من دون استشارتنا

المحقق : يا سيد كورسل ، أنا الذي خفضتها وإنى لمعجب أشد الإعجاب بغيرتك التي أظهرتها في استخلاصك لهذه الخطايا الأربع والستين ولكن في اتهام الزنادقة ، كما في أي أمر من أمور الحياة الأخرى ، يوجد حد للكفاية من كل شيء ، وعداهذا فعليك أن تذكر أن أعضاء المحكمة ليس لهم جميعا مثل ذكائك ودهائك،وأن بعض ما تظهر أنت من علم عظيم جدا قد يتراءى لهم سخافة عظيمة جدا فمن أجل هذا رأيت أن أخفض التهم الأربع والستين إلى اثنتي عشرة كورسل : اثنتي عشرة المحقق : صدقتي إن في الاثنتي عشرة كفاية لما تريد

القس : ولكن بعض التهم الخطيرة قد اختصرت حتى انعدمت أو كادت مثال هذا أن الفتاة اعترفت فعلا بأن القديستين المباركتين مرجريت و كترينة، وكذلك الملاك الأعظم ميكائيل ، كلموها بالفرنسية وهذا اعتراف له خطورته

المحقق : لا شك أنك تحسب أن خطابهم إياها كان لا بد أن يكون باللاتينية؟ كوشون: لا ، بل هو يرى أنه يجب أن يكون بالإنجليزية القس : بالطبع يا مولاى المحقق : ولكن بما أننا جميعا على ما أظن متفقون على أن الأصوات التي تسمعها الفتاة ليست سوى أصوات الشياطين يغرونها باللعنة، فلن يكون من

التأدب في حقك ، أو حق ملك الإنجليز ، أن نزعم أن الإنجليزية لغة الشياطين وعلى هذا فاصرف النظر عما قلت وعلى كل حال فالمسألة لم تحذف كل الحذف من التهم الاثنتي عشرة والآن يا سادة اجلسوا جميعا لنفتتح الأعمال

يجلس كل من لم يكن جلس القس : على كل حال أنا أحتج و كفى

كورسل : إنه ليصعب علينا أن يذهب جهدنا هباء إن هذا مثل جديد لما لهذه الفتاة على المحكمة من مؤثرات شيطانية يجلس على كرسيه ، وهو على يمين القس كوشون : أتزعم أنني واقع تحت مؤثرات شيطانية ؟

كورسل : أنا لا أزعم شيئا يا مولاي ، ولكن يظهر لي أن مؤامرة دبرت لكتمان واقعة لا بد من إفشائها ، هي أن الفتاة سرقت حصان أسقف سليس

كوشون: يجاهد في كظم غيظه ليست هذه محكمة الشرطة وبعد ، أفي مثل هذه السخافات تنفق أوقاتنا ؟ كورسل : ينهض وقد هزه ماسمع مولاي ، أتسمى حصان الأسقف سخافة ؟

المحقق : في لطف يا سيد كورسل ، إن الفتاة تزعم أنها دفعت في هذا الحصان ثمنا طيبا ، وأن هذا المن إذا لم يكن وصل إلى الأسقف ، فالذنب ليس ذنبها وبما أن هذا الزعم قد يكون حقا في هذه التهمة ، فقد يجوز جدا تبرئة الفتاة منها

كورسل : هذا حق إذا كان الحصان حصانا عاديا كبعض الأحصنة ولكن حصان الأسقف كيف يمكن تبرتها فيه ؟ يعود فيجلس ، وقد أذهله العجب وفت فيه اليأس المحقق: أقول لك، في احترام شديد ، إننا إذا تشبثنا محاكمة الفتاة في ذوب توافه ، ثم أضطررنا إلى تبرتها منها ، فتحنا لها الباب إلى الإفلات من

جرعة الزندقة الكبرى ، وهي على ما أرى لاتزال تثق باحترامها فمن أجل هذا أسألك ، إذا أخضرت الفتاة أمامنا ، أن لا تذكر شيئا عن أحصنة سرقتها ، أو رقصة حول شجرة للجن مع أطفال القرية رقصتها ، أو صلاة على بئر مسكونة صلتها ، أو أن تذكر شيئا من تلك الأشياء النشرات التافهات التي بذلت فيها هذا المجهود الكبير في استنباطها قبل حضورى إن فرنسا كلها ليس فيها قرية لا تستطيع أن تهم بناتها مثل هذه المهم، فكلهن يرقصن حول أشجار مسكونة ، وكلهن يصلين عند آبار مسحورة ، ومنهن من لا تحرج من سرقة حصان البابا لو وجدت إليه سبيلا فالزندقة الزندقة ياسادنى هي التهمة التي نحاكم من أجلها إن اكتشاف الزندقة والتطهير منها عمل تخصص له وتوفرت عليه ، وأنا بينكم أمثل ديوان. التحقيق ، فلست قاضيا عاديا فتمسكوا بتهمة الزندقة يا سادة وانصرفوا عما عداها

كوشون : أود أن أذكر أننا بعثنا إلى قرية الفتاة نستخبر عنها، وأننا لم نجد شيئا خطيرا نكاد نأخذه عليها القس وينهضان لم تجد شيئا خطير يامولاى وكورسل ويصرخان مما اف الشجرة المسحورة ليست. كوشون : يخرج عن صبره السكوت ، السكوت وإن تكلمتها فواحدة بعد واحد يسقط كورسل في كرسيه مرتاعا القس : يجلس وهو عابس غضبان هذا ما قالته لنا الفتاة يوم الجمعية الفائت

كوشون : وددت يا سيدى لو عملت بنصيحتها إني عندما قلت أمر خطير قصدت أمرا يبلغ حد الخطورة عند قوم رجاح العقول قال الأحلام كالذين هم

أهل للقيام بأصر مثل هذه المحاكمة التي نحن فيها إنى أوافق زميلي المحقق على أن المحاكمة يجب أن تجري على تهمة الزندقة وحدها

الدفينو **:**وهو شاب من الدومينيكين مد الحق في قوامه فكان جميلاً وكان جالسا بجانب كورسل إلى يمينه ولكن حدثوني ، أفي زندقة الفتاة ضرر كبير ؟ أليست زندقتها محض سذاجة منها ؟ إن القديسين قالوا قدر ما قالت چان

المحقق : تذهب رقته ويتكلم في جد ظاهر أخي مرتان ، لو أنك رأيت من الزندقة ما رأيته ، إذن لما استخففت بها ولو صدرت عن أصول هي أبعد ما تكون عن مظاهر السوء والريبة ، حتى ولو صدرت عن أصول حبيبة من التقوى والصلاح إن الزندقة تظهر أول ما تظهر في أناس يتراءون في كل مظهر من مظاهرهم خيرا من جيرانهم : في فتاة رقيقة صالحة ، أو في فتي أطاع الله فيما أوصاه ، خرج للفقراء عن كل ماله ، ولبس رداء الفقر ، وعاش عيشة الزهد ، وأذل نفسه ، وسخا عما في يده فهذه الفتاة أو الفتى قد يحدثا بدعة ، إذا هي لم تدمغ بلا رحمة في حينها هزت أركان الكنيسة هنا ، وقوضت قواعد الإمبراطورية تقويضا إن سجلات ديوان التحقيق مليئة بقصص لا نجرؤ أن نحكيها للعالم ، لأنها فوق تصديق كل رجل طيب وكل امرأة طاهرة ومع هذا فهذه القصص تبدأ أول ما تبدأ كلها بقوم بلهاء ، فيهم طيبة وعليهم قداسة لقد شاهدت هذا يقع المرة بعد المرة أنصتوا لما أقول واذكروه إن المرأة التي لا ترضى عن لباس المرأة فتلبس لباس الرجل مثل الرجل الذي يخلع رداء الفرو ليلبس كما كان يلبس حنا المعمدان كلاهما يجران وراءها حتما ـكما يجر النهار الليل ـ جماعات من ثائرين وثائرات

يرفضون أن يلبسوا لباسا أصلا إن الفتيات إذا هن أبين الزواج ورفضن أخذ المهور المعروفة ،والفتيات إذا هم رفضوا الزواج وعمدوا إلى شهواتهم فرفعوها فصيروها إلهامات ربانية ، فقد بدأوا عهدا يتبعه لا محالة -كما يتبع الصيف الربيع - عهد تتعدد فيه الأزواج والزوجات ، يتلوه عهد ستحل فيه مضاجعة المحارم إن الزندقة تتراءى في أولها بريئة ، أو فوق ذلك محمودة ، ولكنها تجر في أعقابها أموأ فظيعة من خبائث تمجها الطبيعة فلو أنكم رأيتم الزندقة كما رأيتها تفعل في الناس أفاعيلها لقام أرحمكم قلبا ينحي باللائمة على الكنيسة أنها تأخذ الزنادقة مثل هذه الرحمة التي تأخذه بها إن ديوان التحقيق قضى قرنين يناهض صنوفا من هذا الجنون الشيطاني وقد تبين له أن هذا الجنون يبدأه دائما قوم جهلاء مغرورون ، يعارضون بآرائهم آراء الكنيسة ، وينتحلون لأنفسهم تفسير مشيئة الله على أني أحذركم أن تقعوا في الخطأ الذي يقع فيه الناس كثيرا ، فتحسبوا أن هؤلاء البلهاء كذابون منافقون فهم يعتقدون صدقاً وإخلاصاً أن وحى شياطينهم وحي من الله لذلك أسألك أن تحذروا أن يغلب عليكم ما أودعه الله في قلوبكر من رحمة نحن جميعا قوم كرماء، أو هكذا أرجو أن نكون ، وإلا فكيف تأتي لكم أن تخصصوا حياتكم لخدمة عيسى الحنون ؟ أيها السادة ، بعد هنيهة تقع عيونكم على بنية صغيرة تقية عفيفة نعم هي كذلك ، فالأشياء التي يتحدث بها أصدقاؤنا الإنجليز لا يدعمها دليل ، بينما الأدلة كثيرة على أن غلوها الذي غلت فيه كان غلوا في الدين والكرامات لا في الدنيا وهي ليست من الفتيات التي تدل خشونة تقاطيعهن على جهود قلوبهن وليست من اللاتي تقضي عليهن الصفاقة الظاهرة في وجوههن والقحة البادية

في سلوكهن ، قبل محاكتهن والعجب الذي بثه الشيطان فيها فانساقت به إلى الموقف الخطير الذي هي فيه لم يترك أثرا على محياها وقد تستغربون إذا قلت لكم إنه لم يترك أثر حتى على طباعها ، فيما سوى الأمور الخاصة التي تعجب بنفسها فيها لذلك ستجدون فيها نجبا شيطانيا ، و تواضعا طبيعيا ، قد جلسا من نفسها تجلس سويا فإلى هذا فتنبهوا ، ومنه فاحذروا ومعاذ الله أن أدعوكم إلى تقسية قلوبكم ، فإن عقابها - إن نحن قضينا عليها - عقاب غاية في القسوة فقدنا الأمل في رحمة الله إن نحن قضينا به وفي قلوبنا ذرة من ضغن عليها إنكم تكرهون القسوة ، وإن كان منكم رجل لا يكرهها فأنا آمره بأن ينجو بنفسه ويفر من لعنة الله بترك هذه المحكمة المقدسة توا ولكن إن أنتم كرهتم القسوة فاعلموا أن أقسى القساوات أعقابا تسامح في زندقة واذكروا كذلك أن أقسى المحاكم على متهم محكمة الغوغاء من الناس إذا تجمهروا حول من يظنونه زنديقا أما الزنديق في محكمة التحقيق في مأمن من سخط العامة ، وهو ضامن محاكمة عادلة ، وإذا قضى باتهامه فهو لا يموت إذا هو تاب وأناب من بعد ذلك كم من زنديق نجا بحياته لأن ديوان التحقيق انتشله من أيدي العامة وكم من زنديق نجا بحياته لأن الناس أسموه طواعية إلى ديوان التحقيق لينظر في أمره وقبل إنشاء الديوان ، وحتى في هذه الأيام في المناطق البعيدة عن الديوان ، يشتبه المشتبهون في الرجل فيتهمونه بالزندقة ، وقد يكون اتهاما ظالما جاهلا ، فيرجم المسكين بالحجر ، أو يقطع إربا ، أو يقتل غرقا ، أو يحرق في داره هو وأولاده حرقا ، دون محاكمة ، ودون اعتراف يطهر نفسه، ثم هو لا يدفن بعد ذلك إلا كما تدفن الكلاب ، وكل هذه أفعال لها من الله كراهة شديدة ،

وللانسان منها قسوة متناهية أيها السادة ، إنى رحيم بطبعي ، رحيم منصبي والعمل الذي يفرضه على منصبي قد يظهر قاسيا عند من لا يدرك أن القساوة الكبرى هي في الواقع في رفض هذا العمل إني أفضل الحرق لنفسي على القيام بهذا العمل ، لولا أني مقتنع بأن العدل بين فيه ، والضرورة مليئة به ، وأن الرحمة متغلغلة في جوهره فاصدروا في هذه القضية إذا ما صدرت عن مثل هذا الاقتناع واعلموا أن الغضب بئس الناصح فاطرحوه ، وأن الشفقة قد تذهب بكم مذهبا شرا مما يذهب بكم الغضب ، فاطرحوا الشفقة ولكن لا تطرحوا الرحمة وغاية الأمر أن تذكروا أن العدالة لها المكان الأول والآن أعند أحدكم يا سادتي قول قبل أن نستفتح المحاكمة ؟

كوشون : لقد نطقت بالذي كان في نفسي ، وعبرت عنه أحسن من تعبيرى ولا أعلم أن رجلا برأسه عقل يستطيع أن يجادل في أية كلمة سقطت من فيك ولكن عندي كلمة أريد أن أضيفها إلى كلامك إن صنوف الزندقة التي ذكرتموها فيها اخشيشان وقلة تهذب ، وهي منظمة مروعة ، ولكن إفظاعها وإراعتها كا فظاع الوباء الأسود وإراعته : تثور حينا ثم تخمد وتموت ، لأن العقلاء الأصائل لن يغريهم شىء من مضاجعة المحارم ، ولن يحبب شي؟ إليهم تعدد الأزواج والزوجات وما شابهها من سائر الموبقات ولكن هناك صنف آخر من صنوف الزندقة يواجه المرء حينما توجه في أوروبا هي بدعة جديدة تنتشر بين رجال عقولهم ليست بالضعيفة ولا بالمريضة بل على النقيض من ذلك ، هي بدعة يزيد العقل استمساكا بها كلما زاد رجاحة وقوة وهي ليست من البدع التي يضعفها في رأي الناس تطرف أصحابها في الخيالات وغلوهم في الخزعبلات

، فهي خلو من هذا وذاك وهي ليست من البدع التي يفسدها في رأي الناس ما تتضمنه من شهوات اللحم المعروفة ولكنها مع هذا ، كغيرها من البدع ، تأذن للفرد الخاطىء الفاني أن يناهض برأيه الخاص رأى الكنيسة، وهو رأي وليد الحكمة ونتاج التجربة الطويلة إن كيان الكنيسة الكاثوليكية كيان ضخم ثابت ركيز، فهو لن يتزعزع بسبب رجال عري مجانين ، ولا بسبب خطايا كخطايا مؤاب وعون ولكنه كيان قد يؤتى من داخله ، ويخان من جوفه ، وينقض ويقوض حتى يكون خرابا يبابا بمثل هذه البدعة الكبرى التي يسميها القائد الإنجليزي پروتستنتية

الخبراء : يتهامسون بروتستنتية ما هذا ؟ ماذا يعني الأسقف بهذه ؟ أهي بدعة جديدة ؟ إنه ذكر القائد الإنجليزي أسمعت قط بالبروتستنتية ؟ وهلم جرا

كوشون : يستمر في حديثه وعلى ذكر القائد الإنجليزي، أرجو أن أعرف ماذا أعد الإرل ورك للدفاع عن السلطة الزمنية إذا ظهر أن الفتاة شديدة المراس صلبية الرأس، ثم تحرك الشعب إلى الرحمة بها

القس : لاتخش شيئا من هذه الناحية يامولاى فالإرل النبيل له على أبواب المدينة ثمانمائة رجل في السلاح ففتاتكم لن تفلت من بين أصابعنا الإنجليزية ولو ناصرها أهل المدينة أجمعين

كوشون : وقد تضايق فغضب ألا يجمل بك ، وقد قلت ماقلت ، أن تدعو الله أن يعينها على توبتها والتكفير عن خطيئتها

القس : يخيل إلى أني إذا دعوت جمعت بين النقيضين ولكن برغم هذا فأنا

أوافق سيادتكم على ما تقولون

كوشون: يهز كتفيه بأسا منه واحتقارا له افتتحت الجلسة المحقق : أحضروا المتهمة الدينو : ينادى المتهمة أحضروها

تدخل جان من الباب المقبو من خلف مقعد المتهمة، في حراسة جند من الإنجليز ، وفي رجليها القيد ، ويدخل معها الجلاد وأعوانه ، ثم هم يسوقونها إلى مقعدها ويحلون القيد عنها ثم يقفون وراءها وهي في رداء أسود كأردية الوصفاء والحجاب وقد ظهرت عليها آثار التعب من طول حبسها ومن جهود التحقيقات التي سبقت هذه المحاكة ، ولكنها لا تزال تحتفظ بحيويتها وتلقى الحكمة بنفس لم تقهر وعزة لم تن، ولا يظهر عليها أي ارتجاف من هذا الجمع الحاشد في روعته وهيبته وعبوسه فتضع عليه بذلك عنصرا جوهريا كان لا بد منه ليبلغ به حد المهابة والإخافة

المحقق : اجلسى يا چان تجلس على مقعدها لونك اليوم متغير يا چان ، فهل أنت مريضة ؟ چان : أشكرك شكرا جميلا عندي من الصحة الكفاية ، ولكن الأسقف بعث لي شبوطا فأكلت منه فأحدث لي سوءا كوشون : أنا آسف ، لقد أمرتهم أن يرسلوه صاح

چان : لقد أردت الاحسان إلى ، وأعلم هذا ، ولكن هذا السمك لا يوافقني ، وقد ظن الانجليز أنك أردت سمى كوشون ماذا والقس لا، يا مولاى

چان : تستمر في حديثها إن الانجلير مصممون على أن اخرق كما تخرق الساحرات ، لذلك بعثوا إلى طبيبهم ليصحى ولكنه أمر أن لا يدميني ، لأن القوم

السفهاء يحسبون أن السحر يخرج من الساحرة عند إدمائها فسماني أسماء قذرة لماذا تتركوني في أيدي الانجليز ؟ إن الواجب أن أكون في يد الكنيسة ولماذا تربطوني إلى ساق من خشب ؟ أخشية أن أطير ؟

دستيفيه : في غير رقة أيتها المرأة ، ليس لك أن تسألي المحكمة ، ولكن نحن الذين نلقي عليك السؤال گورسل : عند ما حلوا عنك القيد ، ألا تحاولي الهرب بالنط من برج يبلغ ارتفاعه ستين قدما فاذا كنت لا تستطيعين أن تطيرى ، فكيف تفسرين أنك لا تزالين على قيد الحياة بعد هذه النطة؟

چان : تفسير هذا أن البرج لم يكن بهذا العلو الذي هو عليه الآن إنكم منذ أخذتم تسألوني عن البرج ، أخذ البرج يرتفع يوما بعد يوم

دستيفيه : لماذا نططت من البرج ؟ چان : كيف جاءك أنى نططت ؟

دستيفيه : وجدناك ملقاة في الخندق حول القلعة ، فلماذا هربت من البرج؟

چان :لماذا يهرب السجين من سجنه إذا وجد مهربا ؟ دستيقيه : إذن أنت حاولت الهرب؟ چان : بالطبع نعم ، ولم تكن هذه أول محاولة من نوعها إنك إذا تركت باب القفص مفتوحا طار العصفور

دستيفيه : ينهض إن هذا اعتراف بالزندقة ، وإلى هذا ألفت نظر المحكمة

چان : زندقة يسمى هذا زندقة أنا زنديقة لأني حاولت الهرب من السجن دستينيه : بدون شك إذا كنت في يد الكنيسة فحاولت عمدا أن تفلتى منها، فأنت إذن تهربين من الكنيسة، وهذه زندقة چان : هذه سخافة بالغة لا أظن عاقلا تبلغ به الغباوة إلى حد تصديقها

دستينيه : أسمعت يا مولاى كيف تسبنى هذه المرأة وأنا أؤدي واجبي يجلس غاضبا

كوشون : قد سبق أن حذرتك يا چان من هذه الإجابات الوقحة فهي لا تأتيك بخير أبدا

چان : وماذا أصنع وأنتم لا تكلموني بالمعقول إنكم إذا عقلتم عقلت

المحقق : يتدخل أرى هنا خطأ في الإجراء إنك ياسيدي نسيت أن الإجراءات لم تفتتح رسميا إن الأسئلة لا تلقي عليها إلا بعد أن تحلف على الإنجيل أنها ستقول الحق كله

چان : إنك تقول هذا لى كل مرة ، وقد قلت لك المرة بعد المرة إني سأخبرك بكل ما يتصل بهذه المحاكمة ، ولكني لن أقول لك الحق كله ، إن الله لا يأذن في الحق كله أن يقال وحتى إذا أنا قلته فلن تفهمه والمثل القديم يقول : إن من قال فوق ما يجب أن يقال فمصيره إلى المشانق إني سئمت هذه المناقشة لقد كررناها تسع مرات قبل هذه إنى حلفت مقدار ما أريد أن أحلف ، ولن أحلف فوق ذلك أبدا كورسل : مولاى، لابد من تعذيبها

المحقق : أسمعت يا چان ؟ هذا جواب كل عناد ، ففگرى قبل أن تتكلمي

أأريتموها آلات التعذيب؟ الجلاد : إنها حاضرة يا مولاي وقد رأتها

چان : لو مزقتموني عضوا عضوا حتى تخرج هذه الروح من هذا الجسد ، ما نطق لسانى بشىء فوق ما نطق ماذا عندى فوق هذا مما تفهمونه ؟ على أني لا أحتمل الألم فإذا أنتم عذبتموني ، قلت لكم ما تشاءون حتى يذهب الألم فأعود

إلى إنكاره ، فاذا أنتم مانسون؟

الدفينو : هذا كلام معقول يجب أن نسلك معها سبيل الرحمة

كورسل : ولكن التقليد جرى بالتعذيب

المحقق : ولكن التعذيب لا يكون خبط عشواء إن المتهمة إذا اعترفت عن رضا صار التعذيب حراما

كورسل : ولكن في هذا خروج عن المعتاد وتنكب عن المعروف إنها تأبى حلف اليمين

الدينو : أتريد تعذيب الفتاة لغير غرض سوى أن تستمتع بعذابها

كورسل : ولكنه ليس استمتاعا ، وإنما هو القانون إنه المادة إننا دائما نأتيه

المحقق : هذا يا سيدى غير صحيح ، إلا أن يكون الرجال المحققون يجهلون موقفهم من القانون

كورسل : ولكن المرأة زنديقة إننا دائما نعذب كوشون : (يقطع في القول إ لن يكون اليوم تعذيب إذا لم تكن ثمة ضرورة ، فليكن هذا فصل الخطاب لن أسمح بإجراء يقال من بعده إننا استندنا في المحاكمة على اعترافات تحت قسرا إننا بعثنا لهذه المرأة أحسن وعاظنا ، وخير دكاترتنا، يرجونها وينصحونها ويحضونها على تخليص روحها وجثمانها من النار ، فهل بعد هذا نبعث الآن لها الجلاد ليدفع بها في النار

كورسل : إنك يا مولاي لاشك رحيم ، ولكن في الخروج عن المألوف تبعة كبرى

چان : أنت معقل نادر الوجود ياسيدى أصنع اليوم ما صنعته بالأمس هذه قاعدتك الغالية ؟

كورسل : أيتها الفاجرة الماهرة ، كيف تتجرئين فتسميني مغفلا ؟

المحقق : صبرا يا سيدى صبرا ، فلن يطول بك الزمن حتى يثأر لك منها شر ثأرة

كورسل : متمتما مغفل حقا يجلس في سخط شديد

المحقق : وإلى أن يحين حين هذا ، علينا جميعا ألا ننزعج كثيرا لما تفوه به هذه الفتاة إنها ابنة راع يرعى الغنم ، ولسانها به جانب خشن تعوزه الملاسة

چان : لا أنا لست ابنة راع ، ولو أني ساعدت في رعى الأغنام ككل فتاة غيري إنى أعرف من أمور المنزل ما تعرفه سيدته ، فأغزل وأنسج ، وابارى فيها أية امرأة في روان

المحقق :ليس هذا أوان الغرور يا چان إنك في خطر كبير

چان : أعلم هذا وهل أنسى كيف جوزت على غرورى ؟ ألم يستهوني الغرور إنى أن لبست ردائي الذهب في الميدان والحرب قائمة ، فعل الخرقاء ، فعرفتى جندى برجندى ، فشدني من ورائي عن حصاني ، ولولا هذا ما كنت اليوم بينكم؟

القس : إذا كنت تحسنين أشغال النساء ، فلماذا لا تقبعين في بيتك وتقومين بها

چان : توجد نساء كثيرات تقوم بهذه الأشغال ، ولكن لا يوجد من يقوم بعملي

كوشون : اتركونا من هذه الأمور فإنها توافة لانكسب منها إلا ضياع الوقت

چان سأسألك سؤالا خطير جدا فتأملى قبل أن تجيبيه فعليه تتوقف حياتك ونجاتك هل تقبلين في كل ما صنعت ، خيراً كان أو شراً ، حكم كنيسة الله في أرضه؟وعلى الأخص فيما فعلت من أفعال ، وقلت من أقوال ، يتهمك بها المدعي في هذه المحاكمة ؟ هل تسلمين أمرك فيها للكنيسة تفسرها بما أوحى الله ؟

چان : أنا بنت من بنات الكنيسة ، أمينة مؤمنة ، وسأطيع الكنيسة

كوشون : يميل إليها بصدره في تلقف ورجاء تطيعينها حقا ؟ چان : ما دامت لا تأمرني بمحال

يعود كوشون فيرتمي في كرسيه ، وهو يتنهد يائساً متحسراً أما المحقق فيضغط شفة على شفة ويبس وأما لدثينو فيهز رأسه راثيا لچان
دستيثيه : إنها تنسب الخطيئة والسخف إلى الكنيسة بقولها إن الكنيسة تأمر بالمحال

چان : إذا أنتم أمرتموني أن أعلن أن الذي قلته وفعلته ، وأن الذي رأيته من رؤي ، وتجلى لي من أمور ، لم يكن مأتاه من الله ، فأنتم إما تسومونى الحال ، ولا والله ما قبلت هذا بشيء في الدنيا أبدا إن الذي فعلته باذن الله لا رجعة لي فيه ، والذي أمرني الله أو يأمرني به سأفعله برغم كل حي فهذا الذي أعنيه بالمستحيل فإذا أمرتني الكنيسة أمرا - مهما كان - ينتقض به أمر الله فلن أطيع للكنيسة أمرا فيه عصيان الله

الخبراء : وهم غاضبون مستاءون أشد استياء أوه الكنيسة تنقض أمر الله هذه

زندقة مكشوفة هذا كفر لا كفر بعده وهلم جرا

دستيفيه : يرى بأوراق الاتهام من بيده مولاي : أتريد شيئا بعد هذا ؟

كوشون : أيتها المرأة ، إن الذي قلته الساعة يكفى لحرق عشرة من الزنادقة ألا تأبهين للرد ؟ ألا تفقهين ؟

المحقق : إذا قالت لك الكنيسة إن تلك الرؤى التي جاءتك ، وما تجلى لك من أمور ، إنما جاء به الشيطان ليضل به عن سبيل الله ، أفلا تؤمنين بقضاء الكنيسة وبأنها أعقل منك وأحكم؟

چان : أنا أؤمن بأن الله أعقل مني وأحكم، وأمر الله هو المطاع إن كل الأشياء التي عددتموها على ذنوبا جاءتني من عند الله وقد فعلت ما فعلت بأمر الله ، فلا أستطيع أن أقول غير هذا ، فإذا قال رجل من رجال الكنيسة خلاف هذا فلن آبه له ، وإنما آبه لله وحده ، ولأمره وحده أطيع

الدفينو : ايجادها في توسل كثير إنك يا بنيتي لا تفقهين ما تقولين أتطلبين الموت ؟ أنصتي إلى أتقرين بالخضوع الكنيسة الله في أرضه؟ چان : نعم ، ومتى أنكرت هذا ؟

الدفينو : هذا حسن ، ومعنى هذا أنك تخضعين لمولانا البابا ، ولكردنالاته ، ومطارنته ، وأساقفته الذين يمثلهم هنا اليوم مولانا الأسقف ، أليس كذلك ؟

چان : أنا أخضع لله أولا

دستييه : إذن فالأصوات التي تسمعين تأمرك بألا تخضعى للكنيسة ؟

چان : أصواتى لا تأمرني بعصيان الكنيسة، ولكن طاعة الله تكون أولا

كوشون: وأنت الحكم في ذلك لا الكنيسة ؟ چان : ومن يقضي لنفسي غير نفسي ؟ والخبراء : وقد استشنعوا ما قيل استشناعا فظيعا ، فلم يجدوا كلمة تؤدي ما وجدوا من شناعة أوه كوشون : لقد أهلكت نفسك بلسانك لقد جاهدنا في خلاصك من الهلكة حتى أشرفنا بأنفسنا على التهلكة وقد فتحنا لك الباب مرة بعد مرة ، وأنت تلقينه في وجهنا ووجه الله في كل مرة فهل تدعين بعد الذي تقولين أن الذي أنت فيه من لطف الله ؟

چان : إذا لم يكن ما أنا فيه من لطف الله ، فإني أسأل الله لطفه وإن كان ما أنا فيه من لطف الله ، فاني أسأل الله أن يحفظه على الدفينو : هذا يا مولاي جواب جميل

كورسيل : هل كنت في لطف من الله عند ما سرقت حصان الأسقف ؟

كوشون : ينهض غاضبا لعنة الله على حصان الأسقف وعليك إنا هنا ننظر في قضية زندقة ، ثم لا تلبث أن نصل إلى جوهرها حتى يصدنا عنه معاون لا يفقه من الدنيا شيئا سوى الخيل والحمير يرتجف غضبا ويغصب نفسه على الجلوس

المحقق : سادتي ، سادتي : إنكم بإلحاح في هذه التهم التافهة خير أعوان للفتاة على الفرار ، ولهذا لم يدهشني أن ضاق نيافة الأسقف بكم ماذا يرى المدعي ؟ أيتشبث بهذه التهم الفارغة ؟

دستينيه : واجبي يحتم على أن أتشبث بكل شيء ، ولكن المرأة كفرت كفرا يعود عليها بالطرد من الكنيسة ، فاذا عني مع هذه الكبيرة صغائر الذنوب ؟ أنا

أشرك مولاي في ضيقه بهذه الصغائر ، ولكني بكل احترام أوجه النظر إلى جريمتين فظيعتين خطيرتين ، لم تنكرهما الفتاة أولاهما أنها تخاطب الأرواح الشريرة ، فهي على اتصال بعالم خبيث وثانيهما أنها تلبس ملابس الرجال ، وهذا أمر شنيع فيه خروج على الطبيعة ، وإهدار للعفة ورجوناها ، وعاتبناها ، وتوسلنا إليها أن تخلع هذه الملابس فرفضت حتى خلعها لتأخذ القربان المقدس

چان : هل القديسة المباركة كترينة روح شريرة ؟ وهل القديسة مرجريت روح شريرة ؟ وهل ميكائيل الملك الأعظم روح شريرة ؟

كورسل : وما أدراك أن الخيال الذي يبدو لك ميكائيل ؟ أليس يبدو لك عاريا ؟

چان: ولماذا يبدو لي عاريا ؟ أم تحسب أن الله فقير لا يقدر على كسوته؟

عند هذه لا يتمالك الخبراء أن يضحكوا لاسيما والضحك واقع ثقله

على كورسيل الدينو : أحسنت جوابا يا چان

المحقق : هذا في الواقع جواب طيب ولكن ليس في الأرواح الشريرة روح واحدة تبلغ البلاهة منها أن تتراءى لفتاة صغيرة في صورة فاضحة تبعتها على النفور منها ، وهي إما تريد أن يقع في نفسها أنها رسول العلى الأعلى اسمعى يا چان إن الكنيسة تقول إن هذه الأطياف إن هي إلا شياطين تستدرجك إلى مواطن اللعنة ، فهل تقبلين ما تقوله الكنيسة ؟

چان : أنا أقبل رسالة الله ، ولا أدري كيف رفضها رجل يخلص الإيمان للكنيسة ؟

كوشون : أيتها التعسة، إني أسألك مرة أخرى : أتدرين ما تقولين ؟

المحقق : عراكك يا مولاي مع الشيطان لتخليص روحها عراك فاشل ، ومجهودك في ذلك مجهود ضائع ، فهي لن تنجو أبدا إلى الفتاة أما عن مسألة اللباس ، فأنا أسألك آخر مرة أن تخلعى هذا الزي الزرى ، وأن تلبسي كما يلبس النساء چان : لن أفعل

دستيفيه : ينقض كالطير الجارح خطيئة العصيان هذه يا مولاي

چان : تأزم ولكن أصواتى تقول لى البسي كما يلبس الجنود

الدفينو : چان ، چان : ألا يثبت لك هذا أن هذه أصوات أرواح شريرة ؟ أتستطيعين أن تذكري لنا سببا واحدا يحمل ملكا من ملائكة الله على إسداء مثل هذه النصيحة الفاضية؟

چان : بالطبع أستطيع إنها نصيحة منطقها بسيط واضح ما كنت أحسب أنه يتعئى على أحد فأنا جندية عشت بين الجند وأنا الآن سجينة يحرسني جنود فاذا أنا لبست لبس النساء ، نظروا إلى نظرة الرجال إلى النساء ، فإلى أي حال كنت أصير عندها ؟ أما إذا لبست ملابس الجندي، نظروا إلى نظرة الجندى إلى الجندي ، فأعيش بينهم كما كنت أعيش في بيتي بين إخوتي فهذا هو السبب الذي من أجله نصحت لي القديسة كترينة أن لا ألبس ما تلبس المرأة حتى يجيئي أمرها

كورسل : ومتى يجيئ أمرها ؟

چان : تجيئني عندما تنتشلوني من أيدي الإنجليز وجنوده لقد قلت لكم أعيدوني إلى الكنيسة ولا تتركوني ليل نهار بين أربعة من جنود الإرل ورك أين هؤلاء

تريدوني على الظهور في غلائل النساء ؟

الدفينو : علم الله أن الذي تقوله خطأ فاضح ، ولكني أرى فيه ذرة من فطنة أهل الدنيا قد يجوز مثلها على مثل هذه الفتاة القروية الساذجة

چان : لو كنا في قرانا شجا مثلك في محاكمكم وقصوركم لما وجدتم القمح الذي تصنعون منه خبز يومك

كوشون : أخي مرتان ، هذا جزاؤك منها على محاولتك دفع السوء عنها

ا لدفينو: يا چان ، إنى أحاول أن أدفع عنك السوء ومولاى الأسقف يحاول أن يدفع عنك السوء والمحقق يعطيك من عدالته نفس القسط الذي يعطيه لابنته ولكنك عمياء ، أعماك صلف زائد ، و كبرياء ترفع بك عن معونة الناس

جان : لماذا تقول هذا ؟ أنا لم أقل ما يسيء أنا لا أفهم ما تقول

المحقق : إن القديس أنسيوس ، باركه الله ، قرر في تعاليه أن الامنة تحق على من لا يفهمون فلن يكنى المرء أن يكون سادجا ولن يكفيه أن يكون ما يسميه السذج طيبا إن سذاجة البصيرة المعتمة والقلب المظلم كسذاجة البهيم ، سواء سواء

چان : خذوها عني : إن في سذاجة البهيم لحكمة كبرى ،وإن في حكمة العلماء أحيانا لسخافة كبرى

الدشينو : نعم هذا ولسنا يا چان من الحماقة بحيث تظنين فدعي هذه الإجابات البذيئة ودافعى الشيطان فانه يغريك بها أتدرين هذا الرجل الواقف وراءك

يشير إلى الجلاد

چان : ندور لترى الرجل أهذا جلادكم ؟ ولكن الأسقف قال إني لن أعذب

الدثينو : لن تعذبين لأنك اعترفت بكل ما يكفي للحكم عليك بالإعدام وهذا الرجل لا يعذب فحسب ، بل هو يميت أيها الجلاد ، أجب أسئلتي وأسمع الفتاة أأنت على استعداد لإحراق زنديق في هذا النهار ؟ الجلاد : نعم ، سيدى الدفينو : أجهزت الجذع الذي يربط به الزنديق قبل الحريق؟

الجلاد : نم سيدى ، نصبه الإنجليز في السوق ، ونصبوه عاليا حتى لا أستطيع أن أقترب من الفتاة فأجمل موتها سريعا سهلا إنها ستموت موتة شنيعة

چان : (وقد دخلها الفزع ولكنكم لن تحرقون الآن ؟ الا المحقق : لقد أدركت المال أخير

الدفينو : إن على الباب ثمانمائة جندي انجليزي يترقبون اللحظة تخرج من قضاتك بالحكم بطردك من الكنيسة لينقضوا عليك فيأخذوك إلى السوق للحريق فهذا مالك ليس بينك وبينه إلا دقائق چان : تنظر حولها في حيرة اليائس تطلب النجدة رباه الدفينو : لا تيأسى ياچان ، فالكنيسة رحيمة ، وسبيل النجاة لاتزال مفتوحة ، فادخليها

چان : قد دخلها الأمل بعد اليأس نعم إن أصواتى وعدتني بأنى لن أحرق والقديسة كترينة أمرتني بأن أتشجع وأن لا أخاف كوشون أيها المرأة ، هل إلى هذا الحد بلغ بك الجنون؟ ألا تدركين بعد كل هذا أن أصواتك قد خدعتك ؟

چان : لا ، لا هذا مستحيل كوشون : مستحيل إن هذه الأصوات ستؤدي بك إلى الطرد من الكنيسة ، ثم إلى هذا الجذع الذي ينتظرك هناك لتحرقى عليه

الدفينو : يجاهد في تعزيز الحجة التي بدأها الأسقف هل وفت لك هذه الأصوات بوعد واحد منذ أسروك في گپين ؟ إن الشيطان قد خانك إن الكنيسة تفتح لك صدرها لترتمي فيه

چان : وقد يئست نعم ، هذا حق إن أصواتى خدعتني ، والشياطين هزنت بي ، وقد انهارا عني لقد غامرت كثيرا ، وخاطرت ما خاطرت ، إلا هذه النار ، فلن يمشي برجليه طوعا إليها إلا مخبول معتوه إن الله الذي منحنى العقل لا يقبل أن أمشي بهذا العقل راضية إلى مثل هذه الموتة

الدفينو : الحمد لله الذي شاء لك النجاة في آخر ساعة ثم هو يذهب مسرعا إلى مقعد خالي بجوار الكتاب ، وينتزع صحيفة من الورق ثم يأخذ في الكتابة عليها في رغبة شديدة

كوشون : الحمد لله چان : وماذا على أن أفعل الآن ؟ كوشون : تمضين إشهاد بإنكار البدعة التي جئت بها

چان : أمضى ؟ معنى هذا أن أكتب وأنا أمية لا أعرف الكتابة

كوشون : إنك أمضيت كتبا عدة فيما مضى چان : نعم ولكن يدا كانت تمسك بيدي تهديها بالقلم الذي فيها على أني أضع علامتى على ما تريدون

القس : وقد كان يصفي فيزداد خوفا وسخطا على الناحية التي خال أن الحديث سيؤدي إليها مولاي ، أمعنى هذا أنك تأذن لهذه المرأة أن تفلت من أيدينا ؟

المحقق : إن القانون يجب أن يجري مجراه ، وأنت أيها القس تعرف القانون

القس : ينهض وقد ازرق وجهه من الغضب أنا أعرف أن الفرنسي خوان يلغط

القوم ، فيعلو بصوته على لغطهم أنا أعرف مايقول مولاى كردينال ونشستر عندما يسمع بهذا أنا أعرف ما يصنع أرل ورك عندما يعلم أنكم تخونونه إن على الباب ثمانمائة رجل ينتظرون حتى تحرق هذه الساحرة اللينة وأنوفكم راغمة

الخبراء : في هذه الأثناء ما هذا ؟ ماذا قال ؟ يتهمنا بالخيانة هذا لايحتمل الفرنسي لا يؤتمن أسهمت هذا ؟ هذا رجل لا يطاق من هو ؟ أهذا مثل القساوسة الإنجليز ؟ إنه مجنون أو سكران وهلم جرا

كائنة ما كانت تنويد

المحقق : (ينهض السكوت، السكوت ، ياسادة أرجوكم أن تسكتوا وأنت أيها القس ، تذكر منصبك الكنسي لحظة واحدة تذكر ما أنت وأين أنت إلى آمرك بالجلوس

القس : يطوى ذراعا على ذراع ، في عناد شديد ، ووجه يختلج اختلاجا أنا لا أجلس

كوشون : سيدي المحقق ، إن هذا الرجل دعاني لوجهى خائنا قبل الآن

القس : نعم أنت خائن وأنتم جميعا خونة ماذا صنعتم غير الركوع بين يدي هذه الساحرة اللعينة تسألونها التكفير عما جنت

المحقق : يهبط إلى مقعده في اتئاد إذا أنت لم تجلس ، فلا يبقى إلا أن تقف وهذا كل ماعندي

القس : لن أقف يضغط على لن ، ثم يرمي بنفسه في مقعده

الدفينو **:** ينهض وبيده ورقة مولاى : هذه صورة التوبة التي تمضيها الفتاة

كوشون : اقرأها لها چان : لا تتكلف هذا العناء ، فأنا أمضيها المحقق : أيتها المرأة ، يجب أن تعرفي ماذا توقعين اقرأها لها يا أخي مرتان وأنتم فاستمعوا له جميعاً

الدفينو : يقرأ في هدوء أنا صاحبة التوقيع چان ، المعروفة على الأشهر بالفتاة ، أقر بأني مذنبة شقية ، وأني أذنبت أسوأ الذنب في الأمور الآتية : فقد ادعيت بالكذب أن وحيا بجيئنى من الله والملائكة والقديسين ، ورفضت في تمرد وعناد دور الكنيسة بأن هذا الوحي من الشياطين يضلون به عباد الله وقد كفرت أشنع الكفر بارتدائي ملابس لا ترضاها الفضيلة ، مخالفة بذلك الكتاب المقدس وقوانين الكنيسة وكذلك قصصت شعرى كما يقصه الرجال ، وحملت السيف لسفك الدم البشري، وأغربت الرجال بذبح الرجال ، واستعنت بالعفاريت في خداع الناس ، ونسبت كل هذا في كفر بالغ وعناد شديد إلى الله جل جلاله وإنى بهذا أعترف بالخطايا الآتية : بالفتنة ، وبالوثنية ، وبالعصيان وبالزندقة وإني أتبرأ الآن من هذه الخطايا جميعها ، وأقلع عنها وأطرحها أطراحا وإني أشكر الدكاترة والقساوسة في خضوع أن قادوني إلى الحق وأدخلوني مرة أخرى في رحمة الله ولن أعود إلى أخطائي السابقة وسأظل في كنف الكنيسة المقدسة طيعة لأبينا الأقدس بابا روما وإني أحلف على كل هذا بالله العلى العظيم والإنجيل الكريم

وإشهاد على هذه التوبة أضع اسمي عليها المحقق : أفهمته كله ياجان ؟

چان : في غير اكتراث واضح جدا يامولاى المحقق : وهل هو حق؟

چان : قد يكون حقا لو كان باطلا لما جهزتهم إلى النار في السوق

الدفينو: يأخذ قلمه و كتابا ، ويتجه مسرعا نحوها خشية أن يصدر منها ما يفسد الأمور مرة أخرى تعالى يا بنيتي وخذي القلم ودعيني أمسك بيدك تهتدى تأخذ القلم ويبدآن بالكتابة مرتكزين على الكتاب جيم ألف نون والآن ضعي علامتك بنفسك

جان : تضع علامتها ثم تعطيه القلم ، وهي في ضيق من ثورة روحها على عقلها وجسدها هاك

الدفينو : يضع القلم على المنضدة ، ثم يسلم التوبة إلى كوشون في كثير من الاحترام الحمد لله أيها الإخوان فقد عادت الشاة إلى حظيرتها بعد الضلال والراعي قد فرح لها ، وهي الخاطئة ، أكثر مما يفرح لتسعة وتسعين من الصالحين يعود إلى مقعده

المحقق : يأخذ الورقة من كوشون بهذه التوبة نعلن أنك سلمت من الخطرالذي كان يتهددك ، فلن نطردي من الكنيسة

چان : أشكرك المحقق : ولكن بما أنك أذنبت في حق الله والكنيسة المقدسة إذنابا كبيرا ، وادعيت الدعاوى ، وتغطرست وتكبرت تكبرا شديدا فاضحا ، وبما أننا نرجو لك التكفير عن سيئاتك إذا أنت تأمنتها فريدة وحيدة ، وبما أننا نرجو لك في هذه الوحدة بعدا عن الغواية والرجوع إلى تلك الخطايا ، لهذا نحكم عليك ،

لخير روحك ، ورجاء توبة نرجوها لك تمحو عنك أدران الذنوب وترك في النهاية إلى الله طاهرة مطهرة ، نحكم عليك بأن تأكلى خبز الندامة ، وتشربي ماء الكرب ، في سجن دائم إلى آخر يوم لك على هذه الأرض

چان : تنهض في ذعر وغضب شديد سجن دائم إذن لا تطلقون سراحي ؟

الدفينو : (وقد أخذه العجب بعض الشيء نطلق سراحك يا بنية بعد الذي أتيت من خبائث ؟ أتخمين ؟

چان : إذن فرد إلى الورقة وما كتبت عليها نسرع إلى المنضدة وتنزع الورقة من عليها وتمزقها شر تمزيق أشعلوا النار حياة سعرالسجون كحياة الفئران في الجحور ، خير مهما النار فدونك فأوقدوها ماكذبت أصواتي أبدا الدفينو : چان چان

چان : ما كذبت أصواتى لقد أخبرتني أنكم معتقلون ، تحدث هذه الكلمة استياءا كبيرا ونصحتني أن لا أستمع إلى كلمات منكم خالية ، وأن لا أرتكن إلى صدقة منكم كاذبة وعدتموني الحياة ثم ها أنتم تكذبون سمع من القوم ثائرة غضب كل حياة عندكم حياة ما نبض القلب فيها كل حياة عندكم حياة إلا حياة الجحور إني لا أخشى الخبز والماء إني أعيش على الخبز ، فمتي سألتكم غيره ؛ وليس في شرب الماء عذاب ما دام الماء نقيا ليس في أكل الخبز عذاب ، ولا في شرب الماء كرب ، ولكن الكرب والعذاب أن تغلقوا دونى الأبواب فلا أرى نور السماء ولا بهجة الأرض في حقولها وأزهارها ، وأن تقيدوني بالسلاسل فلا أستطيع أن أركب في الرجال للقتال أو أن أتسلق الجبال ، وأن تحملوني على أخذ أنفاسي من هواء فاسد في جو رطب مظلم، وأن تضربوا حجابا بيني وبين

كل شيء من شأنه أن يأخذ بيدي إلى كنف الله ، ويعود بي إلى محبة الله ، وقد كادت تذهب بها من قلبي هذه المخابث التي تأتون والحماقات التي تصطنعون . إن ما تعرضون على شر من نور الإنجيل سبع مرات إنى أستطيع أن أستغني عن جواد حربي ، وأستطيع أن أروح وأغدو أجر ذيل النساء ، وأستطيع أن أدع الأعلام والأسواق والجند والفرسان تمر بي وتخلفني وراءها كما تخلف سائر النساء نعم أستطيع كل هذا إذا أبقيتم على الريح أسمع حفيفه في الشجر ، والقنبرة أسمع تغريدها في نور الشمس ، والشاة الصغيرة أسمع مواءها وهي تجري في الغابة في صفو هوائها وموفور ضيائها ، والأجراس أجراس الكنيسة ترسل إلى الثم على الريح بأصوات قديساتي بدون هذه الأشياء لا أستطيع العيش ، فإذا أنتم رأيتم أن تحرموني منها - إذا أنتم رأيتم أن تحرموا منها أي إنسان ، فهذا رأي يحمل في طياته الدليل على أن مأتاه من الشيطان ، ويحمل الدليل كذلك على أن رأيي مأتاه من الله

الخبراء : [في اختلاط وجلية هذا كفر ! هذا كفر ! إن الشيطان قد ركبها تقول إن رأينا من عند الشيطان ، وإن رأيها من عند الله ! هذا فظيع إن الشيطان قد حل فينا وهلم جرا

دستيفيه : يعلو بصوته على الجلية] إنها قد ارتدت إلى زندقتها .

إنها عنيدة لا يمكن إصلاحها إنها غير جديرة بما بذلنا لها بن رحمة إني أطلب الحكم بقطعها من الكنيسة

القس : إلى الجلاد إلى نارك فأشعلها إلى النار بها يخرج الجلاد وأعوانه إلى

الصحن مسرعين الدفينو : أيتها الخبيثة إذا كان الوحي الذي يأتيك من الله ، أنا كان في وسعه أن ينجيك مما أنت فيه ؟

چان : إن طرائق الله في تصريف الأمور غير طرائقكم إن الله قد شاء أن أرتمي في أحضانه لأني ابنته ووليته ، وأنكم لا تستأهلون أن يعيش فيكم مثلي فهذه آخر كلماتي إليكم يقبض عليها الجنود

كوشون : ينهض لا تقبضوا عليها بعد ، فنحن لم نفرغ يكف الجند منتظرين ، ويسود سكوت كسكوت الموت ثم يتجه كوشون نحو المحقق ترمقه بعين سائلة ، فيهز المحقق رأسه إيجابا فيقوم الاثنان معا في عبوس واتئاد ، فيرتلون الجمل الآتية ترتيلا ، كل في دوره

كو شون: نحكم عليك بأنك مرتدة زنديقة المحقق : وبأنك من الكنيسة مطرودة

كوشون **:** ومن جسمها مقطوعة

المحقق: وبجدام الزندقة موبوءة

كوشون : الله من آلات الشيطان المحقق : وفرع خبيث وجب اجتثاثه من شجرة الإيمان

كوشون : فنحن نطردك ونقطعك ، ونتركك للسلطة الزمنية تفعل فيك ما تشاء

المحقق : وأين السلطة المذكورة أن تقصد في حكمها عليك فيما يختص بالموت وتقطيع الأعضاء مجلس

كوشون : ونأذن لأخينا مرتان أن يتقدم لك بمراسم التوبة إذا بدت منك أية بادية للتوبة

القس : إلى النار بالساحرة ليندفع إليها ، ويساعد الجند على دفعها وإخراجها يخرج الجند بجان عن طريق الصحن ، فينهض الخبراء ويخرجون وراءهم في غير نظام ، إلآ الدفينو ، فيرى مكانه وقد أخفي وجهه في كفيه

كوشون : كان قد هم بالجلوس ، ولكنه لا يكاد يرى ما فعل القس حتى يعود إلى النهوض لا ، لا هذا خرق في الإجراء يجب أن يحضر نواب السلطة الزمنية ليتسلموها هنا مئا المحقق : يقف كذلك إن هذا القس رجل جهول لا شفاء

كوشون : أخانا مرتان، اذهب وارقب مايصنعون يجب عليهم ألا يخرجوا على القانون

الدشينو : إن واجبي أن أكون إلى جانبها الآن ، فارقب أنت ما يصنعون ، واستخدم أنت سلطتك في حماية القانون يسرع في الخروج

كوشون : إن هؤلاء الإنجليز لا يطاقون إنهم سيقذفون بها في النار دون إمهال انظر يشير إلى الصحن ، وقد ظهرت فيه النار واشتد ضياؤها واضطرب فاحمر منه وضح النهار ولم يكن بقي في قاعة المحكمة غير الأسقف والمحقق

كوشون : وقد هم بالنهوض لا بد أن نوقف هذا

المحقق : في هدوء نعم ولكن إياك والعجلة الزائدة يا مولاى

كوشون : تقل في نهوضه]ولكن ليس في الوقت ،

المحقق : يجب أن نعمل في حدود النظام التام وإذا اختار الإنجليز سبيلا معوجا فليس من واجبنا تقويمهم وغلطة في الإجراء الآن قد تكون نافعة لنا في المستقبل فمن يدري ؟ وعلى كل حال فمن صالح الفتاة أن ينتهى أمرها

سريعا

كوشون : يسترخي في جلسته هذا حق أظن أنه لا بد لنا من الصبر حتى ينتهي هذا الأمر

المحقق : ستتعود هذا يا عزيزي الأسقف إن المرء ربيب العادة إنى قد اعتدت النار إنها لا تلبث أن تنتهى ولكن الأمر الفظيع في كل هذا رؤية فتاة صغيرة ومخلوقة بريئة تحطم عظامها بين قوتين هائلتين ، قوة الكنيسة وقوة القانون

كوشون : أتسميها بريئة المحقق : نعم في غاية البراءة ماذا تفهم هي من الكنيسة ، وماذا تفهم من القانون ؟ إنها لم تفهم كلمة من كلامنا إن الجاهل هو الذي يحيق به العذاب هيا بنا وإلا فاتنا الختام

كوشون : يذهب معه أنا لا آسف إن فاتنا ختامها ، فأنا لم أتعود مثل هذه الخواتيم وبينما هم يخرجون ، يدخل ورك فيلقاهم ورك : أوه أنا متأسف على دخولى ، فقد ظننت أن الأمر انتهى يتصنع الخروج

كوشون:لا تخرج يا مولاي ، فقد انتهى كل شيء المحقق : إن إعدامها ليس في يدنا يا مولاي ، ولكن من المرغوب فيه أن نشهد الخاتمة فمن إذنك ينحني ثم يخرج عن طريق الصحن

كوشون : يوجد شك في أن مواطنيك اتبعوا القانون يا مولاى

ورك : قيل لي إن هناك شك في أن سلطتك تجري على هذه المدينة يا مولاي إنها ليست في أبرشيتك وعلى كل حال فإذا أنت تحملت التبعة في هذه ، تحملت أنا التبعة في ابرشيتي

كوشون : إنا جميعا سنسأل عن هذا أمام الله فصباح الخير يا مولاي ورك : مولاى ، صباح الخير ليتراشقان بنظرات مكشوفة العداء ثم يخرج كو شون فيتبع المحقق أما ورك فيبقي ، ثم ينظر حوله فلا يجد أحدة ، فينادى في طلب أحد ورك : هالو هل من رجل هنا سكوت هالو هل من رجل ؟ سكوت هالو بريان يا ولد يا خبيث ، أين أنت ؟ سكوت أيها الخفراء سكوت ذهب الكل ليشهدوا الحريق ، حتى هذا الولد الصغير يقطع السكوت صريخ رجل يبكي ويعول إعوال المهاويس ورك : ما هذا الذي أسمع ؟

يدخل القس من الصحن مترنحا مخبول ، ودمعه يجري على وجهه مدرارا وهو الذي كان يصرخ هذا الصريخ المؤلم الذي سمعه ورك يدخل ويمشي في غير اتزان إلى كرسي المتهمة فيرتمي عليه وهو يعول إعوالا يفتت الأكباد

ورك يذهب إليه ويربت على كتفه ما هذا ياسيد چون ؟ ما الذي جرى؟

القس : يقول لورك وهو يمسك بيديه متوسلا مولاي مولاى بحق المسيح صل على روحي المذنية الشقية ورك : يهدئ من روعه نعم ، نعم بالطبع سأفعل ولكن مهلا، رويدا

القس : يبكي بكاء شديدا متا هل أنا رجل فاسق يامولاى؟ ورك : لا ، لا ، أبدا

القس : إنى ما قصدت شرا إني لم أكن أدرك هذا المنظر كيف يكون

ورك : يتصلب بعد لين آه أنت رأيته ؟

القس : إني لم أثر ما كنت أصنع إني جهول متهور أخرق ستقع على لعنة الله من أجل ما صنعت بها

ورك : لا، لا إن الحادث بالطبع حادث مؤلم ، ولكنه لم يكن من فعلك

القس : وهو يتفجع أنا الذي جعلهم يفعلونه لو أني عرفت من قبل ما أعرفه الآن لا نتزعتها انتزاعا من أيديهم إنك لا تعرف ما أعرف إنك لم تر ما رأيت إن الكلام مع الجهل يسير إن المرء مخدر عقله بالكلام حتى لا يبقى منه إلا ما يبقى للمجانين إن المرء يصب اللعنة على رأسه، لأنه يلت صب الزيت على جهنم المتأججة من نار غضبه حتى إذا تكشف له الأمر في صميمه - حتى إذا تكشف له ماصنعت يداه قبيحة ذميا فأعمى بصره ، وأخذ ماه حبس أنفاسه ، وأمسك بقلبه فقبضه وضيقه حتى كاد يمزقه عندئذ يسقط على ركبتيه يا إلهي أبعد هذا المنظر عن عيني يا إلهى أطفي هذه النار بين جوانحي لقد صرت إليك وألسنة النار تندلع إليها رباه ، رباه ، رباه إنها الآن في كنفك ، أما أنا في الجحيم إلى أبد الآبدين

ورك : يرفه حتى يقف على رجليه قم ، قم ، يارجل تصير ، تصبر ، وإلا تحدثت المدينة كلها بهذا يرى به في غير لطف كثير على كرسي إلى جانب المنضدة إذا لم يكن لك من أعصابك ما يحتمل هذه المناظر فلم لا تغيب عنها كما أغيب ؟

القس : وهو مشتت الفكر فاقد الإرادة مخذول إنها طلبت صليبا ، فربط لها جندي عودين وأعطاها إياها شكرا لله أنه كان انجليزيا لقد كان في وسعي أن أصنع ما صنع ، ولكني لم أفعل إني نذل جبان أنا كلب مكلوب أنا مغفل ولكنه كان مثلي انجليزيا

ورك : يا للفعل إنهم يحرقونها لو استطاع القس إمساكه

القس: يصيبه التشنج فيرتج بعض الناس ضحكوا منها هؤلاء كانوا يضحكون من المسيح لو أنهم حضروه إنهم كانوا فرنسيين يا مولاي أنا أعلم أنهم فرنسيون ورك : صه بعض الناس قادم ، فتماسك

يدخل الدفينو من مدخل الصحن ، فيمر على يمين ورك ، وهويحمل صليب أسقف كان قد أخذه من كنيسة يدخل وهو هادى النفس ، ولكن وجهه عابس ورك : أخبرت أن الأمر انتهى يا أخانا مرتان الدفينو : يلغز في القول لاندرى يا مولاى، فلعلها البداية ورك : ماذا تعني بالضبط ؟

الدفينو : إني أخذت لها هذا الصليب من الكنيسة لتظل تراه للنهاية إنه لم يكن لديها صليب غير عودين وضعهما على صدرها تحت ردائها فلما استعرت النار وزحفت حولنا، رأت أني لو بقيت أحمل الصليب أمام عينها لامتدت إلى النار فأحرقتني عندئذ أنذرتى وسألتني أن أنزل وأنجو بنفسي مولاي : إن فتاة تستطيع وهي في مثل هذه المحنة أن تصرف من بالها إلى خير غيرها فتاة لا يمكن أن يكون الشيطان قد أوحى إليها وعندها اضطررت أن أنتزع نفسي والصليب من موقف الخطر الذي كنت فيه فلما اختفى الصليب عن نظرها ، أشاحت بوجهها إلى السماء ولست أظن أن السماء عندئذ كانت فارغة إنى موقن أن الله تجلى لها ، فلما رأت وجه مؤاسيا حنانا ، هتفت باسمه ، ثم ماتت فهذه ليست النهاية لها ، بل البداية

ورك : أنا أخشى أن يكون لما حدث أثر في الناس

الدفينو : لقد كان له أثر فعلا يا مولاي - في بعضهم لقد سمعت ضحكا ، سامحنى إذا قلت إنى أرجو وأعتقد أنه ضحك من انجليز القس : ينهض كالمجنون لا لم يكن من انجليز لم يكن هنالك إلا رجل انجليزي واحد مع قومه ، رجل فاسق ، كلب مسعور ، هو أنا دى استوجبر يخرج هائما على وجهه وهو يصرخ فليعذبوه فليحرقوه سأذهب فأصلى على رمادها أنا يهودا ، ليس بيننا خيار ، سأشنق نفسي ورك : أسرع ، أسرع إليه ، يا أخانا مرتان إليه ، إليه قبل أن يحدث سوءا بنفسه يخرج الدفينو مسرعا ويحثه ورك في خروجه ثم يدخل الجلاد من الباب الذي يقع خلف منصة القضاء ، فإذا عاد ورك لتقى الجلاد وجها لوجه ورك : من أنت يا رجل؟ الجلاد : في وقار أنا لا ينادينى أحد برجل يا مولاي أنا أستاذ الجلادين في مدينة وان ، والجلادة صناعة صعبة تحتاج إلى حذق كثير إنى أتيت لأخبر مولاي أن أوامره قد انفذت

ورك : أسأل عفوك ومعذرتك يا أستاذ الجلادين لقد ضاع عليك ما كنت تبيعه للناس من بقايا القتيلة ، ولكني سأعوضك عن هذا أنت وعدتني أنك لن تبقي على شيء منها، فلا عظمة ولا ظفر ولا شعرة الجلاد: إن قلبها أبي أن يحترق يا مولاي ، ولكن كل ما تخاف منها فهو في هذه الساعة في قاع النهر لقد سمعت يا مولاى آخر ما يسمع عنها ورك : في ابتسامة مرة ، وهو يذكر ما قال لدفينو آخرما يسمع عنها ؟ ليت شعري أهذا آخره

المنظر الختامي

ليلة عصيبة من ليالي يونيه عام 1456، شديدة الريح مضطربة ، جاءت بعد أيام شديدة الحر من أيام الصيف ، فكثر من أجل ذلك برقها ودوى رعدها أما المكان فحجرة نوم في قصر ملكي بها سرير رقد عليه شارل السابع ملك فرنسا ، وهو المعروف قديما بالوفين أما الآن فلقبوه شارل الفاتح وهو في عامه الحادي والخمسين وفي أوسط الحجرة نافذة شكل أعلاها رمح وقد وضع السرير على منصة ترتفع عن الأرض درجتين ، وذلك في جانب من جوانب الحجرة لكي لا يحجب النافذة وأظلت السرير مظلة نقشت عليها شارة الملك ولولا هذه المظلة ، ولولا وسادات من الريش هائلة ، لما فرق الإنسان بين هذا السرير و بين أريكة عريضة فرشت عليها ملاءات وغقت ستائر من أجل هذا كان النائم مكشوفا كله للناظر إليه من ناحية رجليه ولم يكن شارل نائما ، بل كان راقدا يقرأ في فراشه ، أو على الأصح كان يطالع صورا في كتاب لفوكيه ، وقد ثني ركبتيه ليتخذ منهما للكتاب مسندا وكان إلى يساره ، إلى جانب السرير، منضدة عليها صورة للعذراء مريم تضيئها شموع مصبوغة وعلى الحوائط علقت ستائر منقوشة فسترتها من السقف إلى الأرض ، وكانت تضطرب في مهب الريح وكانت هذه الستائر المصورة أبين ألوانها الأصفر والأحمر ، فكلا انفرجت مع الريح تراءت للناظر أول وهلة كأنها ألسنة اللهيب وكان باب الحجرة على شمال شارل وأمامه ، قريبا من أبعد ركن منه وكان في الفراش ، في متناول يده ، جرس جميل الصنع مزوق كالذي يستخدمه الخفراء للانذار إذا أوجسوا خيفة ويقلب

شارل صحيفة من الكتاب وتدق ساعة بعيدة دقا يسمع خفيفا يؤذن بانتصاف الساعة فعندها يطبق شارل الكتاب ، فيسمع صوت إطباقه ، ثم يرمي به جانبا ثم يمد يده إلى الجرس فيهزه هزا عنيفا فيحدث صوتا يصم الآذان ، عندئذ يدخل الدفينو على الملك ، فيمشي إليه مشية اتشاد فيها الصلابة والغرابة ، وقد تقدم به السن خمسة وعشرين عاما فوق ما عهدناه ، وهو لا يزال يحمل الصليب الذي كان حمله في وان عند ما حرقت چان ولم يكن شارل ينتظره ، فهو لذلك يفزع منه ويرى بنفسه خارج سريره إلى الجانب البعيد عن الباب شارل : من أنت ؟ أين وصيف الحجرة ؟ ماذا تريد؟

الدفينو : إنى آتيك بأخبار عظيمة سارة ، فافرح أيها الملك فاللوثة التي في دمك قد طهرت ، والوصمة التي بتاجك قد سيلت، والعمل الذي تأخر طويلا ، قد فاز أخيرا

شارل : من أنت ؟ وما الذي تقوله ؟

الدشينو : أنا الأخ مرتان شارل : ومن يكون الأخ مرتان ، ولا مؤاخذة ؟

الدفينو : أنا الذي حملت هذا الصليب لما اخرقت الفتاة وقد مضى الآن على إحراقها خمسة وعشرون عاما : نحو من عشرة آلاف يوم وفي كل يوم من هذه الأيام دعوت الله أن يبرّئ فتاته على الأرض كما يراها في السماء

شارل : وقد عاد إليه اطمئنانه فجلس على ذيل السرير أي نعم أذكر الآن لقد سمعت باسمك إن بك ما من الفتاة لا يفارقك أحضرت التحقيق ؟

الدشينو : وشهدت فيه ؟

شارل : هل انتهى ؟ الدفينو : نعم قد انتهى

شارل : بخير ؟ الدفينو : إن لله طرائق غريبة شارل : وكيف هذا؟

الدفينو **:** في المحاكمة القديمة قضي القضاة بالزندقة على قديسة، فأرسلت بسبب هذا إلى النار لتلقي جزاء الزنديقات الساحرات ففي تلك المحاكمة جرى الحق على ألسنة القاتلين ، واجريت الإجراءات في حدود القانون ، وبذل للفتاة فوق المألوف من رحمة الراحمين ، فلم يقع فيها من أخطاء إلا ذلك الختام الأسود من حكم كاذب ونار تأكل ولا ترحم أما في هذه المحاكمة الحاضرة التي خلفتها الآن ورائي فقد وقعت فيها الأيمان الحانثة ، والدعاوى الكاذبة ، ووقع فيها الفساد مزوقا ، ووقع فيها تجريع الموتى قاموا في إخلاص ما تراءى لهم أنه الواجب الذي لا يزية فيه ووقع فيها غير ذلك يا مولاى خروج عن موضوع القضية سول إليه الجبن ، ووقعت شهادات بأقاصيص لاتجوز على أبله ولكن أتدري ماذا خرج من هذا التلويث للقضاء ؟ ومن هذا التشنيع على الكنيسة ؟ ومن هذا المعترك الذي غلب فيه الكذب والغباء ؟ خرج منه الحق أبلج كأنه قمة الجبل والشمس من فوقه خرج منه ثوب البراءة ، وقد غسل ما عليه من سخام الحطب حياة القديسة مجدت والقاب الصادق الذي عاش رغم النار قد قدس والأكذوبة الكبرى قطع لسان من افتراها إلى الأبد والغلطة العظمى قدحت أخيرا على مشهد من الناس أجمعين شارل : يا صديقي ، ما دام أن الناس لن تقول الآن إن التي توجتني ساحرة زنديقة ، فلست أبالي كيف حللتم العقدة وچان ما كانت لتبالي ما دام الختام طيبا إنها لم تكن من هذا الصنف المتزمت إني أعرفها جيدا والآن هل تم رد اعتبارها إليها ؟ إنى أوضحت لهم أني لن

أقبل هوادة في هذا

الدفينو : نعم ، فقد أعلنوا على رؤوس الأشهاد أن قضاتها الأقدمين كانوا مفسدين غشاشين نصابين حقودين أربعة أكاذيب يا مولاي

شارل : لا تحفل بهذه الأكاذيب فقضاتها قد ماتوا الدفينو : لقد ألغى الحكم القديم إلغاء تاما ، واعتبر كأنه لم يكن فلا قيمة له ولا أثر

شارل : هذا جميل إذن فلن يستطيع الآن أحد أن يتحدى صحة تتويجي

الدفينو : تتويجك الآن كتتويج الملك داوود وشرلمان كلها في القدسية سواء

شارل : هذا غاية الأمل تصور خطر هذا عندى الدفينو : انى أتصور خطره عندها شارل : إنك لا تستطيع ذلك ، فليس منا من عرف كيف كانت تقوم الأشياء إنها مخلوقة اختلفت عن كل الناس وهي لاند كافلة أمور نفسها بنفسها أينما حلت، فأنا لا أستطيع أن أرعاها ، وأنت لاتستطيع أن ترعاها ، ومهما ظننت بها ، فأنت في نظرها دائما دونها قدرا أنصت إلى ما أقوله فيها واحفظه عني: إنك لو استطعت بعثها من جديد فأنا ضامن لك أن هؤلاء الناس يحرقونها في ستة أشهر أو دونها برغم ما هم فيه اليوم من حبها وتقديسها ، وأنك ستقوم بحمل الصليب عند حرقها كما فعلت في المرة الأولى ، فاقطع ما بينك وبينها ، ودعها وشأنها لم يصلب على نفسه مستريحة في قبرها ، ودعنا من الخوض فيها ، فحسبك شؤونك وحسي شؤوني الدفينو : أعوذ بالله من قطيعة تمنعني حظي منها ، أو تمنعها حظها متى ثم هو يدور فيتجه إلى الباب ليخرج في خطى واسعة ، كما دخل أولا ، وهو يقول من الآن لن تطأ قدمي أرض

القصور ولن يجرى لسانى بالحديث إلى الملوك

شارل : يتبعه إلى ناحية الباب وهو يصيح خلفه أرجو لك الخير الكثير من ذلك يا ولي الله يعود إلى وسط الحجرة ، ثم يقف يحدث نفسه إن هذا رجل مجيب كيف يا ترى دخل هنا ؟ أين رجالي يذهب جازعا إلى السرير فيهز الجرس وعندها تهب في الحجرة من الباب المفتوح هبة من الريح تضطرب لها الحوائط اضطرابا ، وتنطفي الشموع فينادي في الظلام هالوا أحدا يذخل فيغلق النوافذ فالريح تطير بالأشياء ويلمع البرق فتضي النافذة ، فتظهر فيها صفحة من شبح إنسان من هذا ؟ من هذا ؟ المونة ، النجدة قاتل قاتل يقصف الرعد ، فيقذف بنفسه في السرير ويتستر فيه باللحائف

صوت چان : مهلا يا شارك مهلا ما هذا الصراخ إنه لن يسمعك أحد أنت نائم

تتراءى چان إلى جوار السرير في غير وضوح كبير في ضوء أخضر باهت

شارل : يطل من تحت اللحاف چان ، أأنت روحها ياچان؟

چان : ولا هذه يافتى كيف تكون روح لفتاة مسكينة محروقة؟ إنما أنا حلم أنت حالمه يزيد الضوء، ويعتدل شارل ويجلس، فيظهر الاثنان ظهورا بينا أنت أكبر مما كنت يافتي

شارل : نعم قد زادت سنى ولكن حدثيني ، أحقا أنا نائم ؟ چان : غلبك النوم وأنت تقرأ في كتابك السخيف شارل : هذا مجيب چان : أعجب منه أني ميتة شارل : أحقا أنت ميتة ؟ چان : ميتة كأتم ما مات إنسان لقد خرجت عن جسدى ابا بام

شارل : مجيب جدا والله هل آلمك كثيرا ؟ چان : ما الذي آلمني كثيرا ؟

شارل : الحرق

چان : آه الحرق إني نسيت فما أكاد أذكر أظن أنه آلمني أولا ، ولكن بعدها اختلطت الدنيا في أسترجع صوابى إلا بعد أن خلصت من جسدي ولكني أوصيك ألا تلعب بالنار ظنا منك أنها لا تؤلم كيف حالك من بعدها ؟

شارل : حال لا بأس به أتعلمين أني قدت جيشي بنفسي وكسبت وقائع ؟ ونزلت في الخندق ، في الماء والدماء ، إلى خصرى ؟ وصعدت السلالم على جدران القلاع والسماء تمطر حجرا وقطرانا ساخنا من فوقي ؟ فعلت ما كنت تصنعين ياچان

چان : حقا إذن فقد خلقت منك رجلا بعد يأس طال يا عزيزى شارل

شارل : أنا أسمى الآن شارل الفاتح لقد وجب أن أتشجع لأنك كنت شجاعة كذلك أجنيس حتى بعض الشجاعة

چان : أجنس من أجنس ؟ شارل : أجنس سوريل إنها المرأة التي أحببتها أنا أحلم بها كثيرا أنا لم أحلم بك قبل الآن أبدا چان : هل ماتت مثلي ؟ شارل : نعم ولكنها لم تكن مثلك إنها كانت جميلة جدا

چان : تضحك ملء فيها ها ، ها أنا لم يكن بي جمال أنا كنت دائما جلفة جافية، جندية في جنود ، حتى كدت أكون رجلا ، ويا ليتني فعندها ما كنت أحدثت لكم جميعا كل هذه المتاعب ولكن همي كان في السماء ، ومحمد الله ملء نفسي فرجلا كنت أو امرأة ، لم يكن بد من إزعاجكم ما ظلت أنوفكم في الوحل

مغروزة وعلى كل حال قل لي ماذا جرى معشر الحكماء فلم تجدوا منها مخلصا إلا أن تصنعوا مني كومة من رماد

شارل : إن أمك وإخوتك طلبوا إلى المحاكم أن يعيدوا النظر في قضيتك فقضت المحاكم بأن قضاتك الأقدمين كانوا مفسدين غشاشين نصابين حقودين

چان : إنهم ما كانوا كذلك إنهم كانوا جماعة من جهال مساكين لم يقلوا إخلاصا عن نظائرهم ممن قضوا بحرق مخلوقات هي خير منهم

شارل : إن الحكم الذي أصدروه عليك قد ألغى إلغاء ومسح مسحا ، فهو معدوم كأن لم يكن ، فلا قيمة له ولا أثر

چان : أنا أحرقت على كل حال أيستطيعون إلغاء ما كان من حرقى ؟

شارل : إنهم لو استطاعوا إلغاءه لترددوا فيه إنهم قرروا أن يقام صليب جميل حيث قام جذع الحريق، وذلك للرحمة والذكرى

چان : إن الصليب لا يبرر الرحمة والذكرى ، بل الرحمة والذكرى هما اللتان تبرران الصليب تدور مشيحة عنه ، وقد غفلت عنه إني سأعيش في الناس فوق ما يعيش هذا الصليب وسيذكرني الناس

شارل : ها أنت تروحين وغرور يومك كغرور أمسك ، لم ينقص أبدا كان بك أولى وأجمل أن تشكرى لى صنيعى أن حققت لك العدالة أخيرا

كوشون : يظهر عند النافذة ، بينهما كذبت شارل : أشكرك

چان : من هذا لكأني به بطرس گوشون كيف حالك يا بطرس ؟ وأي القسم أعطاك الزمان بعد أن أحرقتني ؟

كوشون : قسمة السوء إني أشكو عدل الإنسان إنه ليس من عدل الرحمن

چان : ألا تزال تحلم بالعدل يا بطرس ؟ ألم تر ما جره العدل على ؟ ولكن قل لي ماذا جرى لك ؟ أحي أنت أم ميت؟ كو شون: ميت مهتوك العرض مهين لقد تبعوني وراء الموت ، فنبشوا قبري ، واستخرجوا جسدى ورموا به في المجاري التي تحمل أقذار الناس چان : جسدك الميت لم يحس الممول ولا المجاري كما أحسست النار فى جسدي الحي كوشون : ولكنه قتل يؤلم العدالة ، ويفسد الإيمان ، ويزعزع أركان الكنيسة إن هذه الأرض الجامدة تميد كالبحر الخوان تحت أرجل الرجال ، أجسادهم وأرواحهم على السواء، إذا ما قتل الأبرياء باسم القانون، تم برأت ساحتهم بتجريح قوم بيض القلوب أطهار

چان : على كل حال ، أرجو يا بطرس أن يصلح الناس على ذكرى وهم ما كانوا ليذكروني لولا أنكم أحرقتموني

كوشون : سيفسد الناس على ذكر ، فهم سيرون في الشر ينتصر على الخير ، والكذب على الصدق ، والقسوة على الرحمة ، وجهنم على الجنة فهم إذا ذكرو انتعشت قلوبهم ، وهي تخور إذا ذكروني ومع هذا فالله يعلم أني كنت عدلا فيما قضيت ، رحبا فيما أتيت ، مخلصا في قرارة قلبي الذي ارتأيت ، وما كان في طوقى أن أصنع غير ماصنعت

شارل : يخرج من ألحقته في غير نظام ، ويجلس على جانب السرير جلسته على سرير الملك نعم ، نعم إن أكبر الفساد يأتي منكر أنتم معشر الرجال الأخيار انظر إلى أنا لست شارل الخير ، ولست شارل الحكيم ، حتى ولا شارل الكاسر بل إن عباد چان قد يسموني شارل الجبان لأني لم أنتشلها من النار ولكن مع كل هذا لم أفسد في الأرض كما أفسدتم أنتم أيها الناس تضعون

رؤوسكم في السماء ثم تنظرون ، فتحسبون الدنيا قد انقلبت رأسا على عقب ، فتنفقون العمر لتعدلوها ، فإذا بكم تقلبوها أما أنا فالأشياء كما وجدتها فرؤوس الأشياء ما أجده في أعاليها ، وأرجلها ما أجده في أدانيها وأحاول دائماا أن لا أرتفع ببصرى كثيرا عن هذه الأرض إني أسائلكم برغم ما تأخذونه على ، هل وجدتم أن ملكا من ملوك فرنسا فعل خير ما فعلت ،أو أحسن فيما قدره الله عليه فوق ما أحسنت؟ چان : أنت ملك فرنسا الآن حقا يا عزيزى شارل ؟ أذهب الإنجليز عنكم؟ دنوا : يدخل بين الستائر على يسار چان ، فتشتعل الشموع من ذات نفسها فتضئ درعه وعباءته فيعمان البهجة في المكان لقد أنفذت وعدى قد ذهب الإنجليز

چان : حمد الله ففرنسا الجميلة اليوم بقعة من بقاع الجنة حدثني عن الحرب ياچاك هل أنت الذي قدت الرجال ؟ هل بقيت تقود جنود الله إلى يوم موتك ؟

دنوا : أنا لم أمت بعد إن جسمى نائم مرتاح في فراشي في شودان إن روحك استدعت روحي هنا چان : قل لي هل حاربتهم على طريقتي يا چاك ، لا على الطريقة العتيقة التي كان حلمها المزايدة في الفداء ؟ هل حاربتم على طريقة الفتاة :خاطرتم بالأنفس في سبيل الموت بقلوب مليئة بالشجاعة فارغة من الأحقاد ، لا يهمها بعد الله غير فرنسا حرة والفرنسيين أحرار ؟ أكانت طريقتي يا چاك ؟ دنوا : كانت أية طريقة خلناها تؤدي إلى النصر ولكن الطريقة التي نجحت دائما كانت طريقتك ، فاعلمي أنك أحسنت الإحسان كله يا چان إني كتبت عنك كتابا جميلا أرسلته إلى المحكمة عندما جددوا محاكمتك ليردوا الأمور إلى نصابها لعلى أخطأت ان تركت القسس يحرقونك ، ولكني كنت

مشغولا عنك بالحرب ، ورأيت أن هذا من شغل الكنيسة لا شغلى ولم أجد نفعا في أن تحرق نحن الاثنين أم ماذا ترين ؟

كوشون: نعم ، نعم ، ألقي باللائمة على القساوسة إني أقولها قولة من أصبح لا يطلب المديح ، ولا يخشى أن يتم بالقبيح : إن خلاص الدنيا لا يتحقق على أيدي الجند و لا أيدى القساوسة، ولكن على يد الله وقديسيه الأطهار إن كنيسة الله في أرضه قد أرسلت هذه المرأة إلى النار ، ولكن النار شتت ، حتى وهذه المرأة تحترق فيها ، فكانت وهاجة كالسراج، واندلعت السنتها بيضاء تعلن نصر الكنيسة في السماء زندق الساعة ثلاثة الأرباع ، فيسمع صوت خشن دگر يغني بملء فيه أغنية مرتجلة **:** م م ببرطم لحم سمن لقم طم قديس مووج الفم أزعر موز بمرورم شرم وم، بربط يدخل من بين الستائر جندي انجليزي غليظ الظهر عربيد ، فيمشي بين چان ودنوا

دنوا : أي شغرور خبيث علمك هذا الشعر الخسيس ؟

الجندي : ليس في الأمر شاعر ، بل نحن الذين ألفناه ونحن نسير في الصفوف ولسنا من الأعيان ولا من الشعراء، بل هي الموسيقى تتدفق بالطبيعة من قلوب الشعب **:**م ، طم ، بزبزطم لحم سمن سقم ط قديس معووج الفم أزعر قوز بنرورم فهذا كلام فارغ لا معنى له ، ولكنه يقوينا على السير سيداتي وسادتي ، أنا طوع أمركم من منكم طلب قديسا؟ چان : هل أنت قديس ؟ الجندي : نعم سيدتي ، قديس جاء توا من جهنم دنوا : قديس من جهنم **!**

الجندي : نعم ، أيها الضابط النيل أنا في يوم إجازة من إجازاتى إن لى يوم

إجازة كل عام هذا جزائي الوحيد عن قلة الخير الوحيدة التي فعلها في حياتي

كوشون : أيها الشقي ، أفي كل سني حياتك لم تفعل إلا حسنة واحدة ؟

الجندي : أنا لم أفكر فيها ولم أقصد إلى عملها ، فهي إما جاءتني بالطبيعة ، ولكنهم حسبوها لي شارل : وما هي ؟ الجندي : قلة كأسخف ما تكون الفعلات، كنت چان **:** تقطع عليه الحديث ، وتخطو إلى السرير وتجلس إلى جنب شارل إنه ربط عودين معا وأعطاها لفتاة كانت على وشك أن تحرق

الجندي : هذا صحيح ، فمن أين جاءك الخبر ؟ چان : لاتبال من أين جاءني ، وقل لي أتعرفها إذا رأيتها ؟

الجندي : لا يستطيع مثلى أن يعرف كل الفتيات إن الفتيات كثيرات ، وكلهن ينتظرن من الرجل أن يذكرهن كأنما الدنيا بها فتاة واحدة ولكن هذه الفتاة التي أحدثكم عنها لا بد أن كانت من صنف ممتاز ، لأني من أجلها أستمتع بيوم إجازة كل عام أنا الآن طليق إلى الساعة الثانية عشرة تماما ، وفي هذه الفترة أنا قديس ، فأنا في خدمتكم وطوع أمركم يا سادتي النبلاء و يا سيداتى الجميلات

شارل : و بعد الساعة الثانية عشرة ؟

الجندي **:** بعد الساعة الثانية عشرة أعود إلى المكان الأولى بأمثالى

چان : تنهض تعود إليه أنت أنت الذي أعطيت الفتاة الصليب ؟

الجندى : يعتذر عن فعلته كأنها عمل لا يليق بالجنود ، وماذا كنت أصنع إنها

هي التي طلبته وكانوا على وشك إحراقها وكان حقها في الصليب كحق أيهم وكان لديهم عشرات من الصلبان وكانت البلية بليتها لا بليتهم فأي ضرر في هذا ؟ چان : أيها الرجل ، أنا لا ألومك ولكني لا أطيق أن أتصور أنك ستذهب إلى هذا العذاب الجندي : في ابتهاج إنه ليس بالعذاب الكبير يا سيدتي تفسير هذا أني تعودت عذابا أكبر

چان : عذاب أكبر أكبر من جهنم؟ جندى : خمس عشرة سنة قضيتها في حروب فرنسا، ثم جاءت جهنم بعدها فكانت نعمة بالنسبة إليها ترفع چان يديها توسلا إلى الله ، وتذهب إلى صورة العذراء تطلب في كنفها الوقاية من يأس الانسانية

الجندي : يستمر إن جهنم لسبب ما توافقني ويوم إجازتي كان على ثقيلا في البدء كأنه يوم أحد كثير المطر ولكني اعتدته الآن إنهم يقولون لي إني أستطيع طلب إجازات غيره بمجرد إحساسي بالحاجة إليها شارل : كيف يجد المرء جهنم؟ الجندي : لن تجد فيها كثيرا ما تكره يا سيدى جوها مفرح كأنك سكران دائما دون أن تدفع للخمر ثمنا وصحبة من أرق طبقة : أباطرة ، وبابوات ، وملوك من كل صنف وهم ينهروني لأني أعطيت الصليب لتلك الفتاة اللعناء ولكني لا أعبأ بما يقولون وأنهض لهم فأقول : إن هذه الفتاة اللغناء لها حق في الصليب فوق حقكم، فلو لم يكن لها هذا الحق لكانت هنا في جهنم مكانكم وهذايقطع ألسنتهم ، فلا يستطيعون هالوا من ذا يقرع الباب ؟ ينصتون ، فيسمع صوت قرع خفيف متصل شارل : أدخل ينفتح الباب ويدخل قسيس

يدخل و يعدو إلى جان الزائر الجديد :عفوا سادتي وسيداتى لا أود أن أقطع عليكم ما أنتم فيه أنا قسيس إنجليزي مجوز مسكين لا يخشى منه ضرر كنت في سابق أيامى قسيسا للكردنال : لمولاى كردنال ونشستر أنا چون دى استوجبر ، في خدمة أسيادي ينظر فيهم متسائلا هل قلتم شيئا ؟ أنا متأسف لأني أصم بعض الشيء كذلك في شيء كيف أقول نعم جان: مسكين يا چون ماذا أدى بك إلى هذا الحال ؟ دى استوجبر : إنى أسأل أهل قريتي أن يكونوا على غاية الحذر أقول لهم : إنكم إذا استطعتم أن تروا ما تفكرون فيه ، لفكرتم فيه على خلاف ما تفكرون إنكم لو رأيتموه فيقولون جميعا **:** نعم يا أبانا ، إنا نعلم أنك رجل رحيم ، وأنك لن تؤذي ذبابة فهذا قول جميل يريحني كثيرا أنا بطبعي لست رجلا قاسيا الجندي : ومن قال إنك قاس ؟

دى استوجبر: آه إنى فعلت فعلة قاسية مرة ، لأني لم أكن أعرف كيف تكون القسوة لأني لم أكن رأيتها قط فترى من ذلك أنه لا بد لك من رؤيتها ، فإذا رأيتها فقد نجوت واهتديت كوشون : ألم يكن لك في آلام المسيح عبرة كافية
دى استوجبر: لا لا لا أبدا إني رأيت آلام المسيح في الصور ، ورأيتها في الكتب ، وتأثرت بها تأثرا كبيرا على ما حسبت ولكن لم يكن لشيء من هذا فائدة فلم يهدني المسيح وما لاقاه من ألم ، ولكن هدتني فتاة رأيتها بعيني تحرق
چان : إذا كنت باحتراق قد نجيت من كانوا يقعون تحت عذاب هذا لرجل إذا هو لم يرني أحترق ، فوالله ما كان حرقى عبثا دى استوجبر : لا لا لست إياها

النهاية